جنة الحشاشين وأساليب السيطرة المعنوية في الكتابات الأوربية "من صناعة الوهم إلى صناعة الصورة التاريخية"

دكتور

محمـــــد الســـيد محمد فيـــــاض

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة طنطا

المستخلص :

تتمحور الدراسة حول قضية واحدة ومحورية وهي أساليب السيطرة المعنوية في جماعة الحشاشين وتحديداً قضية جنة الحشاشين ، وهي القضية الأكثر غموضاً وجاذبية ، بكافة تفاصيلها الدرامية والذهنية وتعقيداتها الميثولوجية ، وكما يتضح من عنوان الدراسة فإننا لن نتتبع هذه القضية في الأدبيات العربية بشكل مباشر ولكن ما يعنينا بوضوح تقصي أبعادها في سياق الكتابات الأوربية سواء المصادر أو الدراسات الحديثة ذات الطابع الاستشراقي.

فالكتابات الأوربية بكل حمولتها الفكرية والتخيلية بين الحقائق والوهم والميثولوجيا وجدليات الأنا والآخر انخرطت في قضية جنة الحشاشين فأضافت لها مناحي أكثر درامية وحكياً تنازعت تفصيلاته بين حقائق التاريخ وميثولجيات الحكاية ، فاختلطت الوقائع بالأساطير حتى ارتقت هذه الأساطير لمرتبة الحقائق التاريخية ، وما رسخ هذا المخيال أن جماعات الفداوية القتلة أطاعوا أوامر قائد الحركة الحسن الصباح طاعة عمياء حتى لو كان الثمن حياتهم ، فبالتالي لابد وأنهم آمنوا أن هذه التضحية حتى وإن كانت بالحياة لابد لها من مكافأة أكثر قيمة وهنا فإن الجنة الموعودة هي المكافأة المجزية والجائزة المنتظرة ، أضف إلى ذلك تفصيلات درامية أكثر جاذبية مثل قضية شرب الحشيش والرؤى والأحلام والقيادة الروحية لحسن الصباح وكافة أساليب السيطرة المعنوية على العناصر الفداوية التي كانت بمثابة قنابل انتحارية موقوتة لم تكن تنتظر سوى إشارة بسيطة لتضحي بحياتها بكل رضا وإيمان وشغف .

ومهمة هذه الدراسة استطلاع قضية الجنة بشقيها المادي والمعنوي كما جاءت في الكتابات الأوربية وكذا أساليب السيطرة المعنوية ومن أبرزها شرب الحشيش والسيطرة العقلية والقيادة الروحية وكافة الدوافع التي حركت قطيع المؤمنين بحسن الصباح بنكهة أوربية تمحورت تحت قضية فكرية كبيرة يمكن إيجازها في معادلة من طرفين الطرف الأول إشكالية الأنا والآخر ، والطرف الثاني صناعة الصورة التاريخية .

الكلمات المفتاحية (الحشاشين ، أساليب السيطرة المعنوية ، الحشاشين)

المقدمة :

ليس جديداً على الإطلاق أن يتصدى باحث للكتابة عن تاريخ الحشاشين، فعشرات بل مئات الدراسات تصدت لتفكيك كل ما يتعلق بهذه القضية كفصيل ديني دعوي انخرط في العمل السياسي وشكل صداعًا مزمنًا على صفحات التاريخ كونه إنخرط في السياسة من باب الاغتيالات والتآمر وإقصاء الآخر ، متبنياً الفكر الديني وأساليب السيطرة المعنوية والمادية على كافة الفصائل المنضمة له ، وبطبيعة الحال فليست مهمة الدراسة اجترار هذه التفصيلات أو الغوص في السيرورة التاريخية للحشاشين ورصد تحالفاتها السياسية ، وانقلاباتها وانشقاقاتها ومن اغتيلوا بخناجرهم على الجانبين الإسلامي والصليبي ، ولكن مهمة البحث تتمحور في قضية واحدة ومحورية وهي أساليب السيطرة المعنوية في جماعة الحشاشين وتحديداً قضية جنة الحشاشين ، وهي القضية الأكثر غموضاً وجاذبية ، بكافة تفاصيلها الدرامية والذهنية وتعقيداتها الميثولوجية .

وكما يتضح من عنوان الدراسة فإننا لن نتتبع هذه القضية في الأدبيات العربية بشكل مباشر ولكن ما يعنينا بوضوح تقصي أبعادها في سياق الكتابات الأوربية سواء المصادر أو الدراسات الحديثة ذات الطابع الاستشراقي ، وهنا لابد أن يتبادر للذهن لماذا الكتابات الأوربية دون غيرها رغم شيوع الحديث عن الجنة في المصادر والكتابات العربية والفارسية وغير ذلك من أدبيات ؟

في واقع الأمر فإن الإجابة عن هذا التساؤل تكمن في شق العنوان الثاني وهو صناعة الصورة ، فالكتابات الأوربية بكل حمولتها الفكرية والتخيلية بين الحقائق والوهم والميثولوجيا وجدليات الأنا والآخر انخرطت في قضية جنة الحشاشين فأضافت لها مناحي أكثر درامية وحكياً تنازعت تفصيلاته بين حقائق التاريخ وميثولجيات الحكاية ، فاختلطت الوقائع بالأساطير حتى ارتقت هذه الأساطير لمرتبة الحقائق التاريخية ، وما رسخ هذا المخيال أن جماعات الفداوية القتلة أطاعوا أوامر قائد الحركة الحسن الصباح طاعة عمياء حتى لو كان الثمن حياتهم ، فبالتالي لابد وأنهم آمنوا أن هذه التضحية حتى وإن كانت بالحياة لابد لها من مكافأة أكثر قيمة وهنا فإن الجنة الموعودة هي المكافأة المجزية والجائزة المنتظرة ، أضف إلى ذلك تفصيلات درامية أكثر جاذبية مثل قضية شرب الحشيش[1] والرؤى

---

[1] الحشيش لغة تعني العشب أو الكلأ ، وتحديداً العشب الجاف ، أو العلف الذي تأكله الماشية ، والحشيش ما يبس من الكلأ فأمكن أن يحش ويجمع ، ومفردها حشيشة والجمع حشائش ، واصطلاحياً فقد استخدمت للدلالة على نبات القنب الهندي ، وهو نبات عشبي خشن الملمس ، ومجوف الساق ، وله

والأحلام والقيادة الروحية لحسن الصباح وكافة أساليب السيطرة المعنوية على العناصر الفداوية التي كانت بمثابة قنابل انتحارية موقوتة لم تكن تنتظر سوى إشارة بسيطة لتضحي بحياتها بكل رضا وإيمان وشغف .

وكيفما يكن من أمر ، فإن عملنا في هذه الدراسة سيكون استطلاع قضية الجنة بشقيها المادي والمعنوي كما جاءت في الكتابات الأوربية وكذا أساليب السيطرة المعنوية ومن أبرزها شرب الحشيش والسيطرة العقلية والقيادة الروحية وكافة الدوافع التي حركت قطيع المؤمنين بحسن الصباح بنكهة أوربية تمحورت تحت قضية فكرية كبيرة يمكن إيجازها في معادلة من طرفين الطرف الأول إشكالية الأنا والآخر ، والطرف الثاني صناعة الصورة التاريخية .

لقد استطاعت الكتابات الأوربية أن تصنع صورة تاريخية لجماعة الحشاشين قائمة على المبالغة ، غزلتها تلك الكتابات فصارت قضية الجنة بشكلها الملحمي أشبه بالحقيقة دون إعمال النقد في هذه التصورات ، كما علينا أن نؤكد أن بحثنا في الكتابات الأوربية لن يشمل رصدًا شاملًا لتاريخ الحشاشين كما ورد في هذه الكتابات ولكن يبقى تركيز الدراسة الأول على أساليب السيطرة المعنوية وتحديداً قضيتي الجنة وتعاطي الحشيش كما وردت في تلك الكتابات التي أُتيحت للباحث .

وعلى حد تعبير " فرهاد دفتري " فقد أنتجت الكتابات الأوربية عن الحشاشين روايات محبوكة لكتاب الأخبار الغربيين من الصليبيين والكتاب الأوربيين اللاحقين ، بل إن الحقيقة أن الصليبيين وغيرهم من الأوربيين كانوا مسؤولين عن اختراع وفبركة وتداول عدد من الحكايات المرتبطة فيما بينها بخصوص تجنيد الفدائيين النزاريين الإسماعيليين وتدريبهم [1]، ووفق كاتب آخر فإن الارتباط بين هذه الجماعة والحشيش أمر صاغه الوعي الجمعي الأوربي حول هذه الحركة [2] ، وحسب آراء أخرى فإن كلمة

أوراق مشرشرة الحافة تختلف شجيراته عن شجيرات القنب الأخرى ، فهي تتسم بقصر ساقها وكثرة فروعها ، ويُستخلص عقار الحشيش من القمم الزهرية لأغصان أنثى نبات القنب الهندي وذلك خلال موسم الإزهار حيث تجمع هذه القمم على هيئة حزم ثم تترك لتجف ويتم استخدامها . انظر : ليلى عبد الجواد : ظاهرة تعاطي الحشيش ومكافحتها في مصر المملوكية ، بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي ، مجلد 16 ، عدد 16 ، القاهرة 2020 ، ص 261 .

[1] الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية ، ص 162 .

[2] ناظم بن إبراهيم : تعليقه على ترجمة نص شارل بودلير : الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ترجمه عن الفرنسية : ناظم بن إبراهيم ، منشورات المتوسط ، ميلانو – إيطاليا ، 2018 ، ص 70 .

الحشاشين اكتسبت معناها الذي يدل على ممارسات سياسية يقوم بها من يحملون هذا الاسم ، وهذا هو المعنى الذي سيسود عند مؤرخي الحملات الصليبية في كافة اللغات الأوربية تقريباً ، وما لبث الخيال الأوربي الجامح أن لمح وراء كل دسيسة في أوربا يد حشاش أو طريقة مستمدة من أفانين شيخ الجبل وأساليبه [1].

مدخل تاريخي :

من المتعارف عليه أن جماعة الحشاشين خرجت من عباءة الفرقة الإسماعيلية وكان الداعي الأول للانشقاق يدور حول فكرة الإمامة وتعيين الإمام تلك المسألة التي شكلت بيت القصيد وكانت عاملاً رئيسياً في انقسام الشيعة الإسماعيلية ذاتهم [2] ، فقد انقسمت الحركة الإسماعيلية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427هـ-487 هـ/1035-1094م) إلى نزارية ومستعلية حيث أوصى الخليفة المستنصر قبل وفاته بأن يخلفه الابن الأكبر نزار، بينما سعى الوزير الفاطمي "الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي" أن يعين المستعلي إماماً بعد وفاة والده المستنصر فقام بعزل نزار وبايع ابن أخته أبا القاسم أحمد شقيق نزار الأصغر الملقب بالمستعلى وأعلن خلافة المستعلى ووضعه على سدة العرش الفاطمى، بينما رأي فريقاً آخر من الإسماعيلية أن الإمامة يجب أن تؤول إلى الابن الأكبر نزار الذي تم القبض عليه من قبل الوزير الأفضل الجمالي حيث أمر بسجنه بمدينة الإسكندرية وانتهى الأمر بقتله بأوامر من الوزير الأفضل حيث أمره بوضعه بين حائطين والبناء عليه [3] .

---

[1] سميرة بن عمو : أل موت أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي ، اللاذقية 1996 ، ص 9 .

[2] سعد رستم: الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة التاريخ العقيدة التوزيع ، أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ،2008م، ص 281.

[3] لم تكن عملية خلافة الخليفة الفاطمي المستنصر بالأمر الهين بل أدت إلى واحد من أكبر الانشقاقات الدعوية والسياسية فى تاريخ الدعوة والدولة الفاطمية، فقد كان لهذه الحادثة تداعيات بالغة الخطورة على كافة المستويات سواء في مصر أو فى خارجها ، فأدبيات العقيدة الإسماعيلية تستند إلى تسلسل الإمامة من الأب إلى ابنه الأكبر ، ووفقاً لهذه القاعدة الصارمة فقد كان من المفترض أن تنتقل الخلافة إلى ابنه نزار 437-488هـ - 1045-1095 م وهو الابن الأكبر للخليفة المستنصر بوصفه صاحب الحق الشرعي سواء حسب الأدبيات الإسماعيلية ، أو حسب اختيار أبيه الخليفة المستنصر في إسناد منصب الخلافة له من بعده ، هذا وقد عمل الوزير الأفضل على إقصاء ولى العهد الحقيقى والشرعى الأمير أبي المنصور نزار عن تولى منصب الخلافة وأخذ البيعة لأخيه الأصغر المستعلي في الثامن عشر من ذي

وفي خضم هذه الظروف ظهر الحسن الصباح [1] ذلك الرجل الغامض الذي أخذ على

الحجة 487 هـ/1094 م. انظر : انظر : ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 62 ؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 2007 م ، ص 220 ؛ محمد فتحى شحاتة : الانشقاقات الدعوية الفاطمية وآثارها السياسية والاجتماعية على الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا ، 2022 ، ص 101 والتي تليها . ولمزيد من التفاصيل عن الانشقاق الفاطمى عقب وفاة المستنصر انظر: ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،ج5، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى ، ص142؛ ابن ظافر:أخبار الدول المنقطعة، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية،1972م، ص83-84، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 10، دار صادر، بيروت ، 1979م، ص 237؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمى أحمد، ج3، القاهرة1971م، ص12.

[1] الحسن الصباح : هو الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصاح الحميري، يرجع نسبه إلى قبيلة حمير اليمنية، وقد رحل والده من اليمن إلى الكوفة ومنها الى قم ثم إلى مدينة الرى التى ولد بها في عام 445 هـ/1053 م ، والجدير بالذكر حدث خلاف حول تاريخ ولادته فالبعض ذكر ولادته 438هـ/1046م والبعض 440هـ/1048م، وقد نشأ فى بيت عرف عنه أنه ذو علم وجاه وأدب وكانت أسرته شيعية على المذهب الإثنى عشري ، درس كثيرًا من العلوم وتلقى تعليمه فى مدينة الرى فى السابع من عمره ويقول حسن الصباح " منذ طفولتى بل منذ السابعة من عمرى كان جل اهتمامى تلقى العلوم والمعارف والتوسع فى كل ما استطيع منها فى سبيل توسيع مداركى وكنت كآبائى قد نشأت على المذهب الاثنى عشرى فى التشيع ولم أجد فى غيره طريقا للخلاص من آفات العالم" ، ووصف حسن الصباح بأنه كان شابًا طموحًا مهتمًا بالعلوم والمعارف ، درس الحساب والهندسة والفلك والسحر وتميز بالذكاء وفصاحة اللسان وعذوبة الصوت وكان يؤثر فى السامعين مما يجبرهم على الاستسلام له، وتولى مناصب عليا فى الدولة السلجوقية وتقرب من السلاطين ذهب إلى مصر فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى وظل مقيما بمصر ثمانية عشر شهًرا بعد أن تلقى العقيدة الإسماعلية الباطنية وتشبع عقله

عاتقه مهمة الدعوة والتشيع لنزار [1] كونه صاحب الحق في الخلافة ، ولكن ما لبث أن تطورت أدواره لتكشف عن شخصية استثنائية وفريدة في التاريخ ، فقد أحاط نفسه بهالة ونُسجت عنه كثير من

بمعتقداتهم وعاد بعد ذلك لينشر الدعوة فى بلاد فارس لينشر الدعوة وتوفى فى 6 ربيع ثانى 518هـ / 23 مايو 1124م فى قلعة ألموت. ولمزيد من التفاصيل انظر:

علاء الدين الجوينى: تاريخ فاتح العالم جهانكشاى فى تاريخ منكوقا آن وهولاكو والإسماعلية، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، المجلد الثالث، المركز القومى للترجمة،القاهرة ،2015م، ص171؛ راجع أيضا: فرهاد دفترى: مختصر تاريخ الإسماعيليين، دار المدى للنشر والتوزيع،2010م ، ص 220؛ محمد عثمان الخشت: حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية فى العالم الإسلامى، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،1988م،ص53؛ دفترى: الإسماعليون فى العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق،1999م، ص77؛ برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية فى تاريخ الإسلام ، ترجمة محمد العزب موسى، القاهرة ،1968م، ص77.

[1] وفقاً لبعض الروايات التي ذكرت أنه في سنة 479 هـ/1086 م جاء الحسن الصباح إلى مصر وقابل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في زى تاجر ، وحسب هذه الروايات فقد سأل الحسن الصباح الخليفة المستنصر بالله عن خليفته فى الإمامة فأخبره الخليفة أن الخلافة ستكون في نزار أكبر أولاده ، بعد ذلك تحرك الحسن الصباح لإقامة الدعوة للمستنصر بالله في المشرق وخراسان ، بالإضافة إلى هذا فقد أمد المستنصر الحسن الصباح بالمال الذي يحتاجه فى مهمته، ومضى الحسن بن الصباح في مهمة دعوية إلى بلاد العجم ، وبالفعل بدأ في إقامة الدعوة الفاطمية سراً ، ثم بعد ذلك أظهر الدعوة إبان حكم السلطان السلجوقي ملكشاة، فضلاً عن ذلك فقد أخذ يرسل الرسائل في الدعاة إلى كافة أنحاء البلاد، وكان الحسن الصباح كارها لبدر الجمالى وأسرته لذا قاد حركة المقاومة ضد الخليفة المستعلى وأعلن فى أتباعه أن نزار هو الأكثر أحقية بمنصب الناس بالخلافة ومن ثم أخذ يدعو إليه وتعصب لهذا الأمر حتى صار نقطة تحول كبيرة في حياته . انظر : ابن ميسر : أخبار مصر ، ص 47 ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج 1 ، ص 143 ؛ محمد فتحي شحاتة : الانشقاقات الدعوية الفاطمية ، ص 105 والتي تليها .

قلعة ألموت: قلعة منيعة بين قزوين وبحر الخزر على قلعة جبل وحولها ، وقد تمتعت بخصوصية جغرافية ساهمت في حصانتها فقد كان حولها وهاد لايمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها ، وقيل إن بعض الديلم أرسل عقابا للصيد وتبعها وقعت على هذا الموضع فوجده موضعا حصينا فاتخذه قلعة وأطلق عليها

الروايات قد يكون بعضها من قبيل الخرافات والبعض الآخر من قبيل الحقائق ، ولكن ثمة حقيقة اتُفق عليها هي طبيعة شخصية هذا الرجل وحقيقة جماعته المعروفة بالحشاشين **Assassin** والتي تعد من أخطر الجماعات والتنظيمات الباطنية الشيعية التى ظهرت فى المشرق الإسلامى، ارتكبت هذه الجماعة الكثير من الأفعال المشينة فكانت جماعة الاغتيالات الأكثر شهرة والأكثر صخباً على مسرح التاريخ الإسلامي لما شكلوه من خطر هدد العالم الإسلامى بأسره وكاد أن يصدع الأرض تحت عرش الدولة السلجوقية 429 – 591 هـ / 1037–1194م ، كما شكلت خطًرا داهماً على قادة وأفراد المجتمع والسلب حيث اتبعت هذه الطائفة سياسة الاغتيالات والقتل والإطاحة بكل من عارضهم أو ناهضهم ، كما تسببت فى بث الرعب والخوف بين عامة أبناء المجتمع بسبب حركات السلب والنهب وقطع الطريق التى قامت بها [1] .

نجح الحسن الصباح في التوسع والانتشار عبر تأسيس قاعدة شعبية واسعة من الأنصار والأتباع ، كما نجح أيضاً في الاستيلاء على سلسلة من الحصون والقلاع المتفرقة وعلى رأسها قلعة ألموت في بلاد الديلم ناحية قزوين وأقاموا داخل هذه القلاع مجتمعات إسماعلية يحيطها السر والكتمان. [2]

ألموت أى تعليم العقاب ، وفي تفسيرات أخرى عش العقاب، ويشير القزويني إلى رأى آخر فى سبب تسميتها بالموت نسبة إلى تاريخ بنائها لأنها بُنيت عام 446هـ / 1054 م وهى م و ت حسب الحرف. انظر:القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، 1969م، ص301؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ص316؛ راجع أيضا: حامد زيان: نهاية الإسماعلية، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، مركز النشر جامعة القاهرة،1992م، ص93 .

(1) Wasserman,J., Hassan ibn sabah assssin master,Ibis press,2020,pp.153–155;Rajpuy,M.,Hassan sabbah : his life and thought, U.S.A,2013,P.42–43..

(2) الشهرستانى: الملل والنحل، تقديم عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو المصرية،1977م، ص200. راجع أيضا: محمد عبد الله: الاغتيالات فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربى،2009م، ص66؛ فرهاد دفترى: تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، ترجمة سيف الدين القصير، بيروت 2013م، ص85 .

وبعد أن استقر الحسن الصباح فى قلعة ألموت حتى أصبحت مقره الرئيسى الذى انطلق منها لتأسيس دولته ونشر دعوته، وتمكن من السيطرة على القلاع المجاورة لها ، هذا ، وقد بدأ فى تكليف أعضاء جماعته بهدف السيطرة على أموال بعض القرى والحصول على أتباع جدد وكان يستهدف القرى النائية والناس الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم ، واستطاع السيطرة على الكثير من الأقاليم وظل الحسن الصباح فى قلعته المنيعة ولم يخرج منها لفترة طويلة من الزمن يبث الرعب ويخطط للتحركات الإجرامية . [1]

ومهما كان تقييمنا للحسن الصباح فلا يمكن الإنفلات من الاعتراف أننا أمام شخص ذي عقلية فذة يمتلك ذكاء متوقداً ونظرة ثاقبة بعيدة المدى حيث وضع نصب عينيه على تأسيس تنظيم قوى يخضع له ويكون منفذاً لرغباته فعمل على تأسيس منظمة قوية قسمها إلى عدة مراتب ودرجات. [2]

وفي الحقيقة فقد كانت الاستراتيجية العسكرية لحسن الصباح وجماعته تقوم على العمل السري كوسيلة للانتشار والسيطرة واتباع أسلوب الاغتيالات لإرهاب معارضيه وإلقاء الرعب في قلوب الحكام والأمراء المعادين له [3] ، هذا ولم يكن للحسن الصباح أن ينجح في تنفيذ هذه الاستراتيجية بدون اختيار رجال من نوع خاص لا هم لهم إلا تنفيذ الأوامر لذا قرر العمل على إعداد كوادر من نوعية خاصة لخدمة أفكار التنظيم ، وبديهي أن يستلزم هذا اختيار فئات من الرجال ذات بنية نفسية وجسدية خاصة ، فضلاً عما استلزمه الأمر من ترتيبات كثيرة للإعداد والتدريب والتربية بحيث نتج عن هذه العملية التدريبية عناصر فذة قادرة على أداء مهمتها وتحمل المسئولية بدقة ونظام ، وقد وجد الحسن الصباح ضالته في رجال أطلق عليهم الفداوية الذين كانوا فى غاية من الدقة والانضباط وكانوا بمثابة الذراع القوية للحسن الصباح وتمكن الحسن الصباح من خلالهم مواجهة التحديات التى وقف حائط صد

---

[1] الذهبى: العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد،الكويت 1960م،ج2، 369 ؛ مصطفى غالب: الثائر الحميرى الحسن بن الصباح، دار الأندلس ، بيروت،1966م، ص52.

[2] محمد كامل حسين: طائفة الإسماعلية تاريخها نظمها عقائدها، مكتبة النهضة المصرية،1959م، ص 66.

[3] إيناس حسنى: تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمى ،2017م، ص208.

أمام طموح دعاة الإسماعلية ودعوتهم ، فضلا عن تنفيذ كافة المخططات بالإضافة إلى صناعة الخوف ونشر أجواء من الفزع أصابت أعداء الدعوة الاسماعلية وأقضت مضاجعهم. [1]

ونجح الحسن الصباح فى تأسيس العمل الفدائى ضمن نطاق دعوته فى بلاد فارس والشام فالفدائى يعتبر هو أساس ذلك التنظيم الذى اتبع مبدأ الاغتيال السياسى الذى كان له أثر يفوق أثر الجنود النظامية [2] ، ونعود لما أكدنا عليه سابقاً أننا لسنا بصدد مناقشة تاريخ الحسن الصباح وجماعته التي سطرتها وتناولتها أقلام كثير من الباحثين، ولكن الغرض من هذه الدراسة رصد آليات الحسن الصباح في تجنيد العناصر التابعة له وكيفية السيطرة عليهم معنوياً بفكرة الجنة الأمر الذي جعله يسيطر عليهم فأصبحوا ألعوبة في يده يحركها كما يشاء ، فصاروا كقطيع مفخخ سهل تحريكه والتحكم فيه لأجل القيام بأي عمليات اغتيال أو ترهيب أو أي أوامر تصدر عن الحسن الصباح مهما كانت طبيعتها أو تداعياتها [3] .

---

[1] مصطفى غالب: الحركات الباطنية فى الإسلام، بيروت،1982م، ص122؛ محمد عثمان الخشت: حركة الحشاشين ، ص197؛ محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا،الهيئة العامة للكتاب، 1982م، ص286.

[2] هاشم عثمان: الإسماعيليون بين الحقائق والأباطيل، بيروت ،1988م، ص243.

[3] تحلل كتب علم النفس السياسي هذه الحالة من الاستقطاب والاختطاف الذهني بأنها لا تتم إلا مع نمط معين من الجماهير ، وبطبيعة الحال فإن هذا النمط من الجمهور الذي تم التصالح على تسميته جماهير غوغائية بحكم وضعيتها المتخلفة وما تعانيه من أمية وجهل تلعب دوراً محوريًا وكبيراً فى ترسيخ ثقافة التعصب ، وحسب إحدى التنظيرات فإن هذه الجماهير بحكم تخلفها الثقافي تعمل بشكل لا شعوري على تبني التعاليم والأفكار الأصولية ، وبالتالي فهي تمثل رصيداً احتياطياً لكافة الاتجاهات التعصبية والمتطرفة ومن ثم فمن السهل تعبئتها وحشدها واستقطابها وتعبئتها عن طريق توظيف أجندات فكرية وكذلك تبنى خطاب استقطابي يدغدغ شعورها الديني ويثير حماستها وعاطفتها ، فضلاً عما يمنحها من شعور يعطيها الإحساس بالقيمة ومعني الحياة حتى لو كان الثمن باهظاً وهو الخلاص من الحياة نفسها . انظر : حسن حماد : ذهنية التكفير فى الأصوليات الإسلامية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2015 ، ص 104 ، وكما حلل مؤلف كتاب " المتلاعبون بالعقول " فإن ثمة أنماطًا قيادية تحرك هذا النمط من الجمهور وتجعله في حالة من انعدام الثقة والشك فيما يتعلق بإمكاناته الإنسانية ، وتراهن أن هذه الفراغات الروحية

الحشاشين إشكالية مصطلح :

يواجه الباحث في تقويم مصطلح الحشاشين صعوبة بالغة ، وربما كانت الإشكالية الكبرى التي لحقت بتاريخ هذه الجماعة نابعة في الأساس من إشكالية المصطلح ، بمعنى أن الحملة الأسطورية والتهويلية وأفق التخيلات لكل أدوار الجماعة نبعت من اسمها فهم الحشاشين ، ما معنى الحشاشين إذن هل هم شاربو الحشيش أم القتلة أم غير ذلك من صفات ونعوت وصفوا بها ؟

علينا إذن أن نتتبع تطور المفهوم وتقويمه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية ، في حقيقة الأمر فقد جاءت كلمة الحشاشين فى اللغة من أولئك الذين يقطعون الحشيش فى البادية وهي ترجع فى أصولها إلى الكلمة العربية حساسين ، ومن خلال تعريفات لغوية أخرى أن كلمة حساس تعنى ردىء الخلق أو مشؤوم وكلمة حس تطلق عند الألم المفاجىء وجاءت بمعنى القتل أو استئصال الرأس، وعندما جاء الأوربيون انتقلت الكلمة إليهم بعد تحريفها من سين إلى شين فأصبحت حش وكانت تعنى القتل خيرًا أو شًرا أو الشؤم وهى كلمة ومعانٍ تبلورت فى تلك الكلمة ، وحسب أحد الباحثين الذي تتبع أصل الكلمة من خلال قاموس أكسفورد وأكد أن الأصل فى اللفظ الأوروبى للكلمة هى حشاش وحشيشة العربيتان والدليل على ذلك أن اللفظ بمعناه الحالى لم يظهر إلا فى اللغات الأوروبية فى عصر الحروب الصليبية. [1]

المتلهفة لا يملأ إلا أجنداتهم وأفكارهم . انظر : شيللر : المتلاعبون بالعقول ، ترجمة : عبد السلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1999 ، ص 21 .

[1] أسامة زيد: الصليبيون وإسماعلية الشام فى عصر الحروب الصليبية (القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى) الهيئة المصرية للكتاب ،1980، ص 83؛ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة ، ص 173؛ السيد عبد اللطيف عبد الهادى، الحشاشون دراسة فى الإرهاب بين الماضى والحاضر، المكتب الجامعى الحديث،2011م،ص17-20؛ فرهاد دفترى: خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيلين ، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق،1996م، ص224-228. راجع أيضا:

Komel,M.,re-orientalizing the assassins in western historical fiction literature: orientalism and self -orientalism in Bartol"s Almut, tarr's Almut

وهناك رأى آخر يرجع هذه الكلمة إلى تعاطيهم الحشيش سواء من تلقاء أنفسهم أو تعاطيهم هذه المواد المخدرة ، إذن يمكن حصر أصول كلمة الحشاشين وفقاً لأربعة أوجه كالتالى :

يمكن القول إن إطلاق مسمى الحشاشين أو الحشيشية على الفرقة النزارية تعود إلى أيام الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله (495-524هـ/ 1101-1130م) فى الرسالة التى أصدرها باسم الهداية الآمرية فى إبطال الدعوة النزارية والذي ينفى فيها أحقية نزار فى خلافة المستنصر بالله ويؤكد على حق المستعلى فى خلافته ورد المستعليون برسالة تحت عنوان صواعق الإرغام فى دحض حجج أولئك اللئام منها " لما وصلت دمشق إلى دمشق ووقف عليها جماعة من الحشيشية ، فلت غربهم ، وكدرت شربهم ..." [1]

وقد ارتأى الدكتور جمال الدين الشيّال أن إطلاق هذه التسمية كناية عن تخريف النزاريين لا المقصود بها تعاطيهم الحشيش [2] ووفق طرح آخر فإن لفظ الحشيشية ظهر وارتبط بإسماعيلية بلاد الشام ولم يكن للحسن الصباح وإسماعيلية الموت علاقة بموضوع الحشيشية [3] ، ويذكر مصطفى غالب أن أساس كلمة الحشاشين التي أطلق على الإسماعيلية قد حُرفت عمداً ، وصاحبها افتراء ودس وتحامل ، وأصلها على الوجه التالي:

---

and Oden's lion of Cairo,in *E.J.C.S*,vol.17,university of Ljubjana,Slovenia,2014,p.530.

[1] مؤلف مجهول: إيقاع صواعق الأرغام فى دحض حجج أولئك اللئام ، هولندا،2008م، ص 27-32.

أمر الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ابن الخليفة المستعلي أن يعقد مجلسا فى القصر الفاطمى شهدت فيه أخت نزار أن أخاها لم يكن له من الإمامة شيئاً ، كما أعلنت أنها تبرىء ذمتها من إمامته، جاحدة لها لاعنة لمن يعتقد بأنه الإمام المستحق، بالإضافة إلى ذلك فقد أقرت أن أباها الخليفة المستنصر قد نص على إمامة أخيها المستعلى وقرأ هذا الكلام فى سجل معروف باسم الهداية الآمرية فى إبطال الدعوة النزارية. انظر : أيمن فؤاد سيد:الدولة الفاطمية فى مصر، ص158.

[2] جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2002 ، ص 233.

[3] برنارد لويس: الدعوة بالإسماعيلية الجديدة ، ص 116 .

1-(Assassant – أساسان) أي القتلة والسفاكين ، وهذه لفظة كان يطلقها الصليبيون على الفدائية الإسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخافوهم ولقبوهم بـ "الأساسيانت" [1] ، ووفقاً لتعليق آخر أن كلمة " Assassin " تعني القاتل أيضاً ولكن هذا المعنى لا يخلو هو الآخر من نوع من الارتباط بالحشيش ، وبحركة الحشاشين الإسماعيلية التي ظهرت في بلاد الفرس بين القرنين الخامس والسابع للهجرة ، واستوطنت داخل ما يسمى ب " قلعة ألموت " [2] .

2-(Hassassins – حساسان) نسبة إلى شيخ الجبل الحسن الصباح الذي أوجد منظمات الفدائية.

3-(Hassasoun – حساسون) مشتقة من الحس والشعور أي ذوي حس وشعور.

4-(Assassoun – عساسون) مشتقة من العس الذين يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم لحراستها.

5-(Asasines– أساسين) لقولهم بالأساس ، وهي صفة تُطلق تأويلاً على الإمام أساس الدور [3] .

ووفق تفسير آخر نقله بطروشوفسكي أن أصل الكلمة يعود لكلمة " حسنيون " أي أتباع حسن الصباح [4] .

---

[1] سنان راشد الدين شيخ الجبل الثالث، بيروت ،1967م ، ص 74.

[2] ناظم بن إبراهيم : تعليقه على ترجمة نص شارل بودلير : الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ص 31 .

[3] مصطفى غالب : سنان راشد الدين ، ص 74.

قد يكون من المناسب هنا أن نشير إلى أن مصطفى غالب باحث سوري شيعي إسماعيلي ، ومن الجدير بالذكر أيضاً فقد رفض مصطفى غالب أيضاً قضية الجنة بقوله هذه الرواية الخرافية كانت ولاتزال حتى عصرنا هذا مثاراً لأساطير كثيرة عن الحسن الصباح وأتباعه ، كما ألهمت عددًا كبيرًا من كتاب القصص والروايات للتحليق في أجواء الجنة الخيالية. انظر : سنان راشد الدين ، ص 74 ، وفي سياق آخر يرد مصطفى غالب على قضية الجنة بقوله وإذا كانت هذه هي الجنة التي غوى بها الحسن الصباح فداويته في المشرق فأين هي جنة النزارية في بلاد الشام ، لم يصرح أحد من أعداء النزاريين سواء من السلاجقة أو الزنكيين أو الأيوبيين وحتى الصليبيين وغيرهم عن وجود هكذا جنة في بلاد الشام فأين كان يستغوي شيخ الجبل النزاري أتباعه في بلاد الشام . انظر : مصطفى غالب: سنان راشد الدين ، ص 110 -113 .

[4] الإسلام في إيران ، ترجمة وتعليق : السباعي محمد السباعي ، القاهرة ، 1999 ، ص 270 .

سمات وطبائع الحشاشين كما وردت في الكتابات الأوربية:

وصلت أسطورة طائفة الحشاشين وشيخهم الغامض وحصونهم المنيعة الجبلية إلى الغرب الأوروبي لأول مرة منذ القرن الثانى عشر الميلادى واستحوذت على مخيلة الأوروبيين من خلال روايات الصليبيين الذين شاركوا في الحملات الصليبية على بلاد الشرق الإسلامي ودخلوا فى طور العداء مع الإسماعلية النزارية ، وفي الحقيقة فقد بالغ الأوروبيون في قدرات أعدائهم وقسوتهم وعزز هذا التصور استخدام الحشاشين للاغتيال كأداة سياسية للطبيعة الغربية والغامضة للشرق الأمر الذي ساهم في ترسيخ الصورة النمطية عن المنطقة باعتبارها أرض الغدر والخداع وضع ذلك أساس تشكيل نموذج القاتل الانتحاري الغامض بالعقلية الغربية. [1]

وقد ورد ذكر هذه الجماعة في تقرير كتبه بركارد أوف ستراسبورج مبعوث الإمبراطور فردريك بربروسا **Fredric Barbrosa** (1152-1190) إلى مصر والشام عام 571هـ/ 1175م حيث نعتهم بأبشع الأوصاف وقال فيه "لاحظ أن هناك جنسًا معينًا من العرب يوجد عند تخوم دمشق وأنطاكية وحلب يعيشون في الجبال يطلقون على أنفسهم اسم الحشاشين ويعرفون في الرومانية بسادة الجبل، ويسمون أنفسهم بهذا الاسم لإرهاب الخصم ، وهذه السلالة من الرجال يعيش أفرادها بلا قانون ، وهم يأكلون لحم الخنزير الذي تحرمه شريعة العرب، ويأتون المحارم من أمهاتهم وأخواتهم ويعيشون في الجبال في شبه منعة كاملة وراء أسوار قلاعهم الحصينة ، ولما كانت بلادهم ليست خصبة بما فيه الكفاية لذلك فإنهم يعتمدون على ماشيتهم ، ولهم سيد يلقي أشد الرعب في قلوب كل الأمراء العرب القربين والبعيدين على السواء وكذلك يخشاه الحكام المسيحيون المجاورون لهم. [2]

---

(1) Komel,M.,re-orientalizing the assassins in western historical fiction literature,p.533; Hodgson,M., the order of assassins, Gravenhage,1998,p.45.

(2) The crusade of Fredrick Barbarossa : the history pf the expedition of the emperor Fredrick and related texts, translated by, Loud,G.,A.,London,2010,pp89-90.

راجع أيضا: برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية ، ص14.

ومن الوصف السابق يتضح لنا أن هذا التقرير اعتبر الحشاشين جماعة خارجة مارقة تأتى كل المحرمات التى تحرمها الشريعة الإسلامية ، جماعة لا قانون لها يجتمعون بقلاعهم المحصنة ويبثون الرعب في قلوب الجميع ، يعيشون على الرعي ، وربما كانت هناك مبالغة تتعلق بأكلهم لحم الخنزير ، أو من خلال تهمة إتيانهم أمهاتهم وأخواتهم وهو ما لم نقف عليه في أي من المصادر الأخرى المتاحة لدينا .

وفي ذات السياق يمكن أن نستعرض أقوال وليم الصوري بخصوص الحشاشين هذه الأقوال التي قال فرهاد دفتري بشأنها " إن معظم الكتابات الأوربية ساهمت في رسم صور مفبركة أما وليم الصوري فلم يساهم في تكوين خرافات عن الحشاشين " [1].

على أية حال فقد جاءت أقوال " وليم الصوري " على النحو التالي :

"يوجد في إقليم صور أناس يملكون عشر قلاع قوية مع ما يتصل بها من القرى ومن عاداتهم أن يختاروا رئيسهم ليس بحق الوراثة وإنما باعتباره الأفضل الذي يستحق الرئاسة ، ويكرهون أن يخلفوا عليه أي لقب من ألقاب التبجيل ويكتفون بتسميته الأمير ، ورابطة الولاء والطاعة التي تربط بين هؤلاء الناس ورئيسهم من القوة بحيث إنه لا يوجد أي عمل شاق أو صعب أو خطر يكلفهم به إلا وأقدموا على أدائه بحماسة بالغة بمجرد أن يأمر به الرئيس ، فإذا كان هناك مثلاً أمير يكرهه هؤلاء الناس أو

فردريك بربروسا: ولد فى الخامس عشر من ديسمبر عام 1122م هو ابن فردريك الثانى دوق سوابيا والأميرة جوديث البافارية، أتقن ركوب الخيل والصيد واستخدام الأسلحة، وانضم مع عمه الإمبراطور الألمانى كونراد الثالث فى الحملة الصليبية الثانية وتوج إمبراطورًا للإمبراطورية الرومانية المقدسة عام 1152م وكان على رأس المشاركين فى الحملة الصليبية الثالثة وكان جيشه من أكبر الجيوش المشاركة فى الحملة الصليبية وغرق فى نهر سالف أحد أنهار أسيا الصغرى عام 1190م. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Freed,J.,Fredrick Barbarossa the prince and the myth,Yale university press,2016,pp.29-32.

راجع أيضا: منال محمد السيد: الإمبراطور إسحق أنجليوس وحملة الإمبراطور فردريك بربروسا فى ضوء كتابات المؤرخ نيقتاس خونيتاس، بحث منشور بمجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مجلد 5، عدد 9، بحث منشور بمجلة كلية الآداب ، جامعة بنى سويف، 2020م، ص145-146.

[1] الإسماعيليون في العصر الوسيط ، ص 192 .

لا يثقون فيه فإن رئيسهم يعطي خنجراً لواحد أو أكثر من رعاياه وبمجرد أن يتلقى أحدهم الأمر يخرج لأداء مهمته دون اعتبار لنتائج فعلته أو إمكانية الهرب بعد أدائها وربما تأخذه حماسته لإنهاء مهمته إلى العمل والكدح فترة طويلة حتى تسنح له الفرصة لتنفيذ أوامر رئيسه ونحن العرب نسميهم الحشاشين ولكننا لا نعرف أصل التسمية.[1] ومن خلال ما أورده وليم الصوري يمكن رصد انطباعه عن الحشاشين بأننا أمام جماعة تتميز بالحماسة البالغة والإخلاص والولاء الأعمى لكبيرهم ، هذا الولاء مرهون بمجرد تلقيهم أي نوع من الأوامر فيتم تنفيذها دون تفكير ، ولكنه لم يوضح سبب التسمية بالحشاشين.

في سياق آخر ففي عام 733هـ / 1332 م قرر الملك فيليب السادس [2] philipe Vi (1328-1350م) ملك فرنسا القيام بحملة صليبية جديدة لاسترداد الأراضي المقدسة ولكن بروكارد[3]

---

[1] وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشى، الهيئة العامة للكتاب ، 1994م، ج3، ص126.

[2] فيليب السادس: أول ملوك فرنسا من أسرة فالوا Volois لقب بالمحظوظ ولد فى عام 1293م فى مقاطعة بيكارديه Picardi شمال فرنسا ، تلقى تعليمه فى مدينة باريس تعلم النحو والبلاغة وعلم اللاهوت واللغات الأجنبية ، وتولى الحكم من فبراير 1328م الى 22 فى أغسطس 1350م وشهد عهده بداية اندلاع حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا وتوفى فى عام 1350ودفن بكنيسة القديس سانت دينيه Saint Denies. انظر:

Villalon,A., the hundre years war,Leiden,2008,v.2,p.261;Blockmans,P.,introduction to medieval Europe 300-1500,London,2017,p.291.

[3] بروكارد: يعرف أيضا باسم بورشارد الألمانى لا يعرف عن حياته الكثير ولد فى عام 1283م كان أحد الرهبان الدومنيكان قام برحلات عديدة للتبشير بالمسيحية وللمزيد من التفاصيل . انظر:

محمد على الشيخى: مشروعات دعاة الحروب الصليبية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة صنعاء،2001م ، ص164 والتي تليها . راجع أيضا:

Atiya,A.,S.,the crusade in the latter middle ages,London,1938,p.110.

نصحه قائلاً " حذار من جماعة الحشاشين فهم متعطشون للدماء أشداء لا يلقون اعتبارًا للحياة أو النجاة ، ولديهم قدرات يغيرون مظهرهم في شكل الشياطين ، ولا يسمحون للغريب أن يعيش بينهم وبمجرد إشارة من كبيرهم يحدثون أكبر قوة تدميرية ، وهم يعيشون عند تخوم دمشق وأنطاكية وحلب وفي بلاد فارس ، ولديهم هيكل تنظيمي صارم ونظام تربوي وتعليمي ، وهم لا يفرقون في القتل بين زعيم مسلم أو غير مسلم ولا حتى الولاة المسلمين ، ولا ينبغى السماح بإعطائهم وظائف فى القصر الملكى أو أية خدمة فيها مهما كانت صغيرة أو مختصرة أو متواضعة إلا للمعروفين تماما ، كما لاينبغى السماح لأحد بدخول القصر إلا لهؤلاء الذين تعرف حالتهم بالتحديد : دولتهم وحكامهم ونسبهم وحالتهم أى ينبغى باختصار أن يكون الشخص المسموح له بالاقتراب من الملك معروفا نفسه فأول قتيل أوروبى بخناجرهم هو أمير بيت المقدس كونراد أوف مونتفرات 588هـ / 1192م [1]

ونستنتج من رسالة بروكارد الذى لم يرهم ولم يلتق بهم ولكنه سمع عنهم لشهرتهم ولم يستطع تبينهم لأنهم مهرة فى التخفى لا يعرف أسماءهم الحقيقية أو مساكنهم ولا أهم وظائفهم إلا أهل الثقة من الحاشية وأكد مدى القوة التي تتمتع بها جماعة الحشاشين وأن ولاءهم الوحيد لشيخهم الكبير ولا يهمهم أي شيء سوى إرضائه وأنه اعتمد فى وصفه لتلك الجماعة على ما اشتهرت به وعلى سماع ماتردد عنهم من حكايات أصابته بكل هذا الذعر.

وفي عام 651هـ / 1253 م أُرسل الراهب وليم روبريك من قبل الملك الفرنسي لويس التاسع إلى بلاط خان المغول في قراقورم وفي خلال رحلته ذكر أنه لاحظ أن جبال الحشيشة متصلة بجبال قزوين ولاحظ أيضاً أن هناك احتياطات وحراسة محكمة من قبل الخان المغولي خوفاً من اغتياله من جانب طائفة الحشاشين حيث ذكر فى كتابه دخول أربعين من فداوية الحشاشين متنكرين فقام الخان بإرسال شقيقه على رأس جيش من أجل القضاء عليهم . [2]

---

(1) **Beazley,R., directorium and faciendum passagium transmarinum, A.H.R,V.12,no,4,1907,pp.832-833.**

راجع أيضا: برنارد لويس: الحشيشة الاغتيال الطقوسى عند الإسماعيلية النزارية، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، دمشق،2006م، ص159.

(2) **William of Rubrick, the journey of William Rubruck to the eastern parts of the world 1253-1255, translated by, Rockhill,W.,London,1942,p.222.**

لا يمكن أن نتغافل أيضاً عن نص الرحالة اليهودي الأسباني "بنيامين التطيلي" والذي ذكرهم مرتين الأولى وهو يصف مدينة جبلة الواقعة فى سفوح جبال لبنان حيث قال " وبظاهرها تقيم الطائفة المعروفة بالحشيشين" . [1] والمرة الثانية وردت في خضم حديثة ووصفه لمدينة نهاوند ووصفها بقوله " فيها أرض الملاحدة وتسكنها طائفة يعتصم أتباعها بالجبال المنيعة ولهم علاقة بشيخ الجبل في أرض الحشيشة " وبالتالي كان الحشاشون في وجه نظر بنيامين أنهم ملاحدة. [2]

يبدو لنا أن الرحالة التطيلى لم يعرف أرض الحشاشين ولم يصل إليها ، وأنه عرف تلك المعلومات عن طريق التجار والواردين إليها وأشار لذلك برنارد لويس فى تعليقه على معلومات بنيامين التطيلى إذ قال ويبدو أنه لم يعرف أكثر من ذلك. [3]

الفداوية أداة تنظيم الحشاشين في عمليات الاغتيال :

ارتبط بمصطلح الحشاشين مصطلح آخر وهو الفداوية [4] ، ويجدر بنا قبل البحث في صورة الفداوية في الكتابات الأوربية تفكيك هذا المفهوم وفهم ماهيته ، وبشكل مجمل فالفداوية هم عناصر

راجع أيضا: برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في الإسلام ، ص20 .

ويليام ربروك:راهب فرنسيسكانى ولد فى بلاد الفلاندرزعام 1248م صاحب لويس التاسع ملك فرنسا فى الحملة الصليبية السابعة على مصر،وفى السابع من مايو 1253م بدأ فى رحلته التبشيرية إلى بلاد التتار من أجل إقناعهم باعتناق المسيحية بأوامر من الملك لويس التاسع وقابل باتو خان التتار ورفض التحول إلى المسيحية وعاد الى بلاده فى عام 1255م.ولمزيد من التفاصيل . انظر:

Rockhill,W., the journey of William Rubruc; to the eastern parts of the world 1253-1255,Newyork,2017,pp.40-41.

[1] رحلة بنيامين التطيلى، ترجمة عزار حداد ، بيروت ،2011م، ص114-115.

[2] بنيامين التطلى: رحلة بنيامين التطيلى، ص185.

[3] برنارد لويس: الحشيشة ، ص164.

[4] يورد ابن تيمية إشارة تتعلق بمصطلح الفداوية في رسالة وجهها لملك قبرص بقوله " ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية (الفداوي بمعنى الفدائي) ، ووصفهم بأنهم يغتالون الملوك في فرشها، وعلى أفراسها، من قد بلغ الملك خبرهم، قديماً ، وحديثاً، وفيهم الصالحون الذين لا يرد الله دعواتهم ، ولا يخيب طلباتهم ،

صفوة القتلة التي حركها الحسن الصباح لتنفيذ العمليات النوعية على الأرض من قتل وترهيب وتجسس[1] وغير ذلك من عمليات يمكن وصفها أنها عمليات انتحارية ، لقد وظف الحشاشين في سبيل تنفيذ عملياتهم عناصر أُطلق عليهم الفداوية ، وهم الفئة التي تحتل ترتيباً هاماً في التسلسل الدعوي للحشاشين كانت تُكلف بأعمال الثأر والانتقام وأعمال العنف وكانوا مصدرًا لكثير من الرعب الذي كان يهز الملوك على عروشهم وهم الذين يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ويلجم الآخرين فلا يقدروا على لعن الإسماعيلية وذمهم، وهذا النوع من المستجيبين [2] إنما اخترعه الحسن الصباح ليربط

الذين يغضب الرب لغضبهم ، ويرضى لرضاهم " . انظر : ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، نشرها قصى محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، 1974، ص 48 والتي تليها .

[1] استخدم الحشاشون الحمام الزاجل لنقل الأخبار بين القلاع واكتساب المعلومات مما سهل لهم نقل الرسائل وإصدار الأوامر للولاة فى القلاع الأخرى بسرية تامة دون الحاجة إلى بذل الجهد والمال لتكريس عدد من الرجال لذلك وبوجود هذه الوسيلة تعقدت الأمور على كل من كان يحاول إخضاع تلك القلاع الحصينة فقد كان الحشاشون يتناقلون الأخبار والأوامر بأريحية تامة دون الحاجة لتعريض أحد رجالهم للقتل أو الأسر ودون تعريض خططهم للكشف. انظر : رحاب عكاوى : الحشاشون حكام الموت ونشأتهم وتاريخهم ، دار الحرف العربى للنشر والتوزيع،1994م ، ص 55-56. راجع أيضا:

Freiherr,J., the history of assassins derived from oriental sources,p.115.

[2] حسب مفهوم المستجيب في المعنى الأصيل للدعوة الإسماعيلية وهى أول رتبة تعطى للمنتسب إلى الدعوة بعد تأية فحص مقرر من داعى الدعاة والدعاة الآخرين . انظر : عارف تامر: تاريخ الإسماعيلية ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، 1991، ص 127 ، وهو يتبع الداعى الذى أخذ عليه العهد، وبذلك يكون قد دخل فى ذمة الإمام. انظر : ابن الجوزى: كيد الشيطان لنفسه قبل آدم عليه السلام وفيه مذهب الفرق الضالة " ، تحقيق أبو عبدالله محمد بن العفيفي ، مكتبة ابن العباس ، الطبعة الأولى ، إيداع 2003 ، ص 161، ويرتب الداعى إدريس عماد الدين هذا الترتيب الدعوي وموقع المستجيب فيه " فيكون مستجيباً ثم مؤمناً ثم مكاسراً مأذوناً نجيباً ثم داعى إحرام وداعى إطلاق ثم داعى بلاغ وحجة وباباً بواجب الاستحقاق ...". انظر : الداعى إدريس: زهر المعاني" تحقيق مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الأولى – 1991 ، ص 210.

نفسه وعرشه بسواعدهم المفتولة [1] ، وهو الشخص الذى يناط به اغتيال من تقرر الجماعة قتله من أعدائها وعادة مايكونون ثلاثة فإذا فشل الأول انطلق الثانى لتنفيذ المهمة وهكذا كان علمهم المسبق بأن القتل نهايتهم المحتومة [2] ، ومن الواضح أن ملفات شرف بأسمائهم ومهماتهم قد جرى تدوينها والاحتفاظ بها في ألموت وربما في قلاع أخرى أيضاً [3].

---

[1] سعيد عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد الإسلامى فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 2018م، ص 442؛ رحاب عكاوى: الحشاشون حكام الموت ونشأتهم وتاريخهم ، ص8. وبخصوص الفداوية فقد كانوا يرتبون على ثلاث درجات تتمثل : أولا : فى الرفاق أو المقدمون وهم قادة الجيش والفداوية يشرفون على تدريبهم ويسهرون على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية، ثانيا: الفدائيين وهم الذين يتم اختيارهم بدقة من العناصر التى تتميز بالإخلاص والولاء ولديها استعداد للتضحية بأنفسهم والشجاعة والإقدام والجرأة فكانوا مسيرون فقط لتنفيذ أوامر شيخهم ومعلميهم، وثالثا : المستجيبون وهم الذين يقضون التدريب والتعليم ويلتحقون بمدارس الفدائية فى سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم فى المدارس الخاصة بهم على أيدى كبار المتقدمين ويسهر على تدريبهم حسن الصباح شخصيا أو نائبه . انظر : صدر الدين ناصر الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ترجمة محمد إقبال ، دار الوراق، 2017م، ص66-67 ، والجدير بالذكر أن مراتب الدعوة فى عهد الحسن الصباح قسمت إلى عدة مراتب ويأتى شيخ الجبل فى المرتبة الأولى وعددها سبعة وجعلها منحصرة بين المستجيب العادى ورئيس الدعوة الجديد وهو اللقب الذى انفرد به الحسن بعد استيلائه على قلعة ألموت كما أطلقت عليه ألقاب أخرى مثل مولانا وسيدنا ولقب نفسه بلقب حجة الإمام، أما المرتبة الثانية : تسمى كبار الدعاة كانت مقتصرة على ثلاثة من كبار رجال الدعوة الإسماعلية ، ومرتبة الدعاة تأتى فى المرتبة الثالثة وتكون مخصصة لكل المخلصين للدعوة ويقومون بنشر مبادئها وعن طريق هذه الرتبة يصل أصحابها إلى مرتبة كبار الدعاة وكان من شروط اختيار الداعى أن يكون بارعاً فى التشكيك ماهرا فى التلبيس ، وبعدها تأتى مرتبة الرفاق الذين تفقهوا فى أصول المذهب الإسماعيلى ولكن لايحق لهم نشر الدعوة، ثم فى المرتبة الخامسة الفداوية ثم اللاصقون وبعدها المستجيبون . ولمزيد من التفاصيل انظر: شرف : دولة النزارية ، ص 76-82.

[2] عباس عبد الستار: الإسماعيلية النزارية ونهاية وجودهم فى إيران (487-654هـ/1094-1256م)، بحث منشور فى مجلة كلية التربية ، العدد 48، بغداد ،2006م، ص236.

[3] فرهاد دفتري : الإسماعيليون ، ص 162 .

وقد برع حسن الصباح فى تربية الفداوية وفق نظام صارم وصل بهم فى النهاية إلى اعتقادهم بأن رؤساءهم يفوقون البشر فطاعتهم واجبة [1] ، وكان الحسن الصباح ذا عين ثاقبة له القدرة على اختيار عناصر معينة ليكونوا رجالًا مخلصين لا يجيدون إلا السمع والطاعة ، هذا وكان يتم تدريب هؤلاء الفداوية فى منازل رؤساء الدعوة وفى منازل خاصة بهم ويتم تلقينهم بأن سلامتهم متوقفة دائما على فداء أنفسهم ، كما كان يتم تدريب هؤلاء الصبية على السمع والطاعة العمياء والإيمان بكل ما يحيط بهم، فطاعتهم لشيخهم واجبة وأن شيخ الجبل هو سيدهم أو ربهم وهو القادر على إدخالهم الجنة موعودون بالمسرات وأن المسرات فقط بيد شيخهم، بالإضافة إلى ذلك فقد عمل على تعليمهم استخدام الرموز السرية وقواعد خاصة بمراسلاتهم فى حروبهم وتنظيماتهم وكانوا يشيرون بها إلى أسماء خصومهم وذلك من أجل اتخاذ الحيطة والحذر ، فكان هؤلاء الجهلة يضحون بأنفسهم من أجل هدف وهمي لا يحمل عزا ولا شرفاً، وأى مخالفة يرتكبونها تكون سبباً فى توقيع العقوبات عليهم، والمثير في الأمر أن الأهالي أنفسهم كانوا حريصين كل الحرص على إرسال أولادهم إلى قلعة ألموت راجين لهم الشهادة، وقد بلغ درجة هذا الأمر أن أمهات الفداوية كن يبكين إذا عاد إليهن أبناؤهن أحياء [2] ، وقد كان من النادر أن ينجو عنصر الفداوية بعد تنفيذ المهمة الموكلة إليه من قتل ضحيته لأن الفداوية كانوا يعملون على تنفيذ مهمتهم مهما كانت عواقبها حتى لو وصلت إلى قتلهم شخصيا ، ونرى ذلك فى وصف الأصفهاني عنهم" وكان الواحد منهم يهجم على فريسته وهو يعلم أن كليهما لن ينجو ، ولم يجد أحد من الملوك فى حفظ نفسه منهم حيلة فصارت الناس فيهم فريقين منهم من جاهر بالعداء ومنهم من عاهدهم على المسالمة والموادعة وكان الله فى خطر منهم عظيم. [3]

---

[1] طه شرف: دولة النزارية أجداد أغاخان كما أسسها الحسن الصباح، مكتبة النهضة المصرية،1950م، ص89.

[2] طه شرف: دولة النزارية، ص89؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج4، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1996 ، ص 375 والتي تليها .

[3] تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت، 2004م، ص84 .

ويمكننا بطبيعة الحال تتبع تطور مصطلح الفداوية في الكتابات الأوربية على النحو التالي :

جاءت أقدم الإشارات من خلال رحلة ماركو بولو وقد حرص الحسن الصباح على انتقاء العناصر الشابة الفتية من أطفال الفلاحين الفقراء اليتامى الذين يعيشون فى القرى وضواحى المدن ، فكان يأخذهم من الطفولة المبكرة ، كما انتقى هؤلاء الذين عاشوا فى أحوال معيشية سيئة ولم يعيشوا نعم الحياة ومباهجها ، كما كان يتم اختيار من تبدو عليه علامات القوة البدنية والغباء [1] حتى تسهل السيطرة عليهم ، وكان الصباح ينظر للأشخاص ضعيفة الشخصية التي يسهل السيطرة عليها والتشكيك لكسر المعتقدات المؤمن بها والإقناع بأفكاره، ويراعى فى اختيارهم ألا يكونوا قد شربوا الخمرة أو عرفوا النساء أو تلطخوا بأي شيء من ملذات الحياة ويخضعون لتدريب صارم عسكريا وعقائديا وقتاليا وطاعة عمياء فى تنفيذ أوامر شيخهم.[2]

---

[1]وفقاً لبروتوكولات الدعوة الإسماعيلية الأولى فإن أبرز الوصايا كانت " لا تطرحوا بذركم فى أرض سبخة وأرادوا بذلك منع دعاتهم من إظهار بيعتهم عند من لا تؤثر فيهم – حسب تعبير بعض الروايات – وذلك أن الدعوة لن تؤثر فيه كما لا تؤثر البذر فى الأرض السبخة شيئاً . انظر : البغدادى: الفرق بين الفرق " تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ، د . ت ، ص 32 ، وكذلك منع التحدث فى بيت فيه سراج، أى منع التحدث فى أى موضع به عالم متدين . انظر : ابن الجوزى: كيد الشيطان ، ص 162.

[2] ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة العامة للكتاب،1994م، ج1 ، ص86؛ راجع أيضا: برنارد لويس: الدعوة الإسماعيلية الجديدة، ترجمة سهيل زكار، دمشق،1971م، ص198. راجع أيضا:

Hammer,., the history of assassins,p.22.

يعلق فرهاد دفتري على دور ماركو بولو في ذيوع قصة الجنة بقوله إن " ماركو بولو قد بدأ رحلته الشهيرة إلى الصين عام 1271م وبعد سبعة عشر عاماً أمضاها في خدمة الخان الأكبر عاد إلى بلده الأم البندقية عام 695هـ / 1295م ، وبينما كان مسجوناً في جنوة 698هـ - 699هـ / 1298 – 1299م أملى مذكراته أخيراً عن " الممالك وعجائب الشرق " على أحد زملائه في السجن وهو كاتب رومانسي عُرف باسم روتشيللو الذي ربما أضاف إلى النص الأصلي تصوراته الشخصية الخاصة ، وتضمنت نصوص رحلة ماركو بولو وصفاً لشيخ الجبل وحشاشيه ، وهو ما يعتبر من الملاحظات الاستطرادية في النص ، ويعد جزءاً من

رصدت إحدى هذه التعريفات للفداوية أنهم ملائكة النقمة وأداة الانتقام الفعالة في يد رؤساء النزارية ، فهم السلاح الفعال والآلات الفتاكة في أيدي رؤوسهم ليحققوا به رغباتهم وأمالهم [1] ومن الأسماء التي أطلقت عليهم اسم الضراوية وهم الفئة المسلحة في الدعوى التي يشترط فيها التفاني والتضحية. [2]

لقد عمل الدعاة على تعليمهم أصول المذهب الإسماعيلي واللغة والشعر والمعارف المتنوعة ، وفي بعض الحلات كان يتم إحضار الأساتذة لهم لتعليمهم اللغات مثل العربية واليونانية والفارسية والتركية والكردية واللهجات المختلفة، كما أحُضر لهم عسكريون كبار لتعليمهم فنون القتال المختلفة واستعمال السلاح لمواجهة كافة المخاطر ، فضلاً عن إكسابهم لسلوكيات مثل الدهاء والصبر ، ومهارات مثل إتقان فنون التنكر والتخفى وكان الفدائيون مدربين بشكل احترافى على فنون التنكر والفروسية والاستراتيجيات العسكرية، فانتحلوا عدة شخصيات فتارة دراويش وتارة صوفية أو متسولين أو عابرى سبيل ، وفي بعض الأحيان ارتدوا ملابس نساء أو طالبى حاجات ، وفي حالات معينة كان عليهم الاندماج فى جيش الخصم أو البلاط الحاكم بحيث يتمكنوا من الوصول لأماكن استراتيجية تمكنهم من تنفيذ المهمات المنوطة بهم، كما تدربوا على استخدام لغة سرية أو أحرف سرية فى الكتابة وكان الهدف من ذلك هو عدم معرفة العدو لمحتوى الرسائل حال وقوعها بيده عن طريق الخطأ فلا يستطع تفكيك وفهم تلك الرموز المخصصة فى رسائل الحشاشين التي لم يكن ليفهمها أحد إلا الحشاشين أنفسهم، كما تعلموا كيفية إخفاء أنفسهم ، والتدرب على السرية التامة فلم يكن الفدائى يبوح

هذه الملاحظات على الأقل محشوراً في النص من قبل روتشيللو نفسه ، أو ربما من قبل ناسخ لاحق آخر ، وتمثل هذه الرواية في جميع الأحوال توليفاً مفصلاً لخرافات الحشاشين المرفقة بمساهمة أصلية في صورة " بستان جنة سري " لشيخ الجبل . انظر : فرهاد دفتري " الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية ، ص 193 .

(1) Granville,B., literary history pf Persia,3 vols,vol.2,London,1908,p.201; Hammer,J., the history of assassins,translated by, Wood,O.,London,1835,p.14.

(2) Hammer,., the history of assassins,p.11.

بسره أو سر جماعته تحت أي ظرف ، كما عهد الحسن الصباح لمعلمين مخصوصين لتدريب عناصر الفداوية على الخناجر وجعلهم يتقنون فن استخدامها . [1]

أما عن مستوى فهم الفداوية لأصول ومبادىء الدعوة الإسماعيلية فقد وصفوا بأنهم من البلهاء أو ممن لا يخوضون غمار الدرس والفلسفة إلا ما عليه ، ولم يكن يُشترط فيهم التعمق في أسرار المذهب الإسماعيلي على عكس أصحاب الطبقات العليا فى المذهب الإسماعيلي [2] هذا وقد صنفهم براون أنهم يحتلون الترتيب الثالث من المراتب المنخفضة وتتمثل فى الرفيق واللاصق والفدائى[3] .

بالإضافة إلى ما سبق فيمكن استطلاع صورة الفداوية لدى المستشرق الروسي بطروشوفسكي الذي وصفهم بقوله " وكان هؤلاء الفدائيون أفرادًا ذوي إرادة صلبة وهمة عالية قوية ، قد ربوا على روح التعصب والكراهية والنفور التام لأعداء الفرقة والطاعة غير المحددة لأعضاء الطبقات العالية فوقهم ، وقد اختير من بين درجة الفدائيين السفاكون والقتلة لأعداء النزارية ، كما اختير من بينهم الجواسيس والعيون ، وكان هؤلاء الشباب يختارون من بين جماعة الفدائيين ويتعرضون للاختبار والامتحان والتجربة من قبل المعلمين الذين علموهم فن إخفاء الأمور وسترها ، كما كانوا يعودونهم ارتكاب المحرمات ، ويعلمونهم كيفية استخدام الأسلحة والتدريب عليها فضلاً عن اللغات المختلفة أحياناً " [4] على أية حال فقد كان الفداوية حجر الأساس فى تنفيذ العمليات العسكرية ، وصفوة القتلة وورقة التهديد الأبرز لكل مخالف أو عدو أو هدف لطائفة الحشاشين.

---

[1] خير الله سعيد: عمل الدعاة الاسلاميين فى العصر العباسى ، دمشق، 1993م، ص274؛ ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف، بغداد،2007م،ص 49. راجع أيضا:

Freiherr,J., the history of assassins derived from oriental sources, Oxford,2021,p.91.

[2] طه شرف: دولة النزارية ، ص 85. راجع أيضا:

Freiherr,J., the history of assassins derived from oriental sources,p.65.

[3] إدوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى، ترجمة إبراهيم الشواربى، مطبعة دار السعادة،1973م،ج2،ص 252.

[4] الإسلام في إيران ، ص 269 .

وصف جنة الحشاشين وأساليب السيطرة المعنوية والذهنية في الكتابات الأوربية :

كانت السيطرة المعنوية والذهنية أحد أبرز أدوات الحسن الصباح في تحريك قطيع المختطفين ذهنياً من عناصر الحشاشين والفداوية ، وحسبما شاع في المصادر والكتابات أن الجنة كانت أحد أبرز وسائل هذه السيطرة المعنوية على جموع الحشاشين ، والجنة التى مناهم بها الحسن الصباح لم تكن جنة الآخرة المذكورة في القرآن الكريم ومسعى كل مؤمن ، ولكنها وفقاً لمن آمن بوجودها من المؤرخين جنة حقيقية على الأرض تم تأسيسها برعاية وتخطيط من الحسن الصباح لاستخدامها في السيطرة الذهنية والمعنوية على جموع الحشاشين .

وعودة للبحث في سياق الكتابات الأوربية فقد كان "ماركو بولو" هو العراب الأول في ذكر قضية الجنة ، فهو الذي رسم سيناريو تلك الحكايات المتداولة عن أسطورة الفردوس [1]وقد استخدم الحسن الصباح كل مالديه من مكر ودهاء وحيل ووسائل خداع حتى يظلوا تحت سيطرته ورهن إشارته ، وفى ذلك يروى الرحالة البندقى ماركو بولو صاحب أسطورة الفردوس المزعومة الذي زار إيران سنة 672هـ/1273م ووصف حصن ووادي ألموت بأنه وادٍ يقع بين جبلين حوله شيخ الجبل الحسن الصباح إلى بستان كبير وفاخر ، و كان بمثابة أكبر وأجمل بستان وحديقة يمكن أن تقع عليها العين فهى كانت جنة الله فى الأرض، فجمع فيه أشهى ثمار الفاكهة بجميع أنواعها، ولقد شيد فيها أروع ما يمكن أن يتصوره الإنسان من قصور وقاعات مختلفة الأحجام والأشكال كلها مغطاة بالذهب وبروائع الصور الزاهية وبالأثاث المكسو بأفخم الديباج ، ومن جدران هذه القصور تتدفق الأنهار سائلة بالخمر والحليب والعسل والماء الذى يفيض من كل اتجاه ، وفي الحديقة عدد من السيدات مع جمع من أجمل فتيات العالم اللواتي يستطعن اللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية ؛ ويشيدون بحلاوة ويرقصن بحلاوة تأسر العقول ، كما أتقنوا فنون الإغراء والغزل والدلال والرقة وكن يرتدين أفخم الثياب ويتلاعبن ويسلين أنفسهن فى القصور والحدائق ، وما من رجل يسمح له بالدخول إلى الحديقة إلا لأولئك الذين عزم الشيخ بأن يجعلهم حشيشية. [2]

---

[1] ناظم بن إبراهيم : تعليقه على ترجمة نص شارل بودلير : الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ص 31 .

[2] ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ج1 ، ص 85-86 ؛ راجع أيضا: برنارد لويس: الدعوة الإسماعيلية الجديدة، ترجمة سهيل زكار، دمشق،1971م ، ص 18 .

وكان نتيجة هذا النظام أنه متى جرؤ أى فرد على إثارة غضب شيخ الجبل كان جزاؤه الموت على يد هؤلاء القتلة ، ولم يشعر أحد منهم بالرهبة عند الإقدام والمخاطرة بتنفيذ عملية الاغتيال فكان هدفهم الوحيد هو إرضاء شيخهم من أجل أن ينالوا الرضا ودخول الجنة الموعودة.[1]

واستكمالاً لصناعة الصورة فقد أشار جوانفيل فى مذكراته أن هذه الطائفة كانت لا تخشى الموت وذلك لاعتقادهم أنه إذا مات الشخص في سبيل سيده أو لأي سبب كريم آخر حلت روحه في جسد شخص آخر وهى أكثر راحة وطمأنينة وأمان ، وهو السبب الذي من أجله لا يعبأ الحشاشون بموتهم إذا لاقوا مصرعهم حين ينفذوا أوامر شيخ الجبل [2] .

ونقلا عن المؤرخ والرحالة مارينو سانودو ذكر هامر أن هنرى دى شامبين كان فى زيارة إلى شيخ الجبل فرأى اثنين من الحراس يقذفان أنفسهما من أعلى البرج دون خوف من الموت الذى ينتظرهم على الفور على الصخور القائمة فى أسفل البرج وكل ذلك تلبية لإشارة سيدهم شيخ الجبل [3] .

وتعليقاً على الرواية السابقة فهي رواية نجدها متشابهة حد التطابق مع رواية ابن جبير المتوفى سنة (614هـ / 1217م) وإن كانت تتعلق بشيخ الجبل في بلاد الشام " سنان الدين " إذ يقول " الملاحدة الإسماعيلية فرقة مرقت من الإسلام وادعت الإلوهية في أحد الأنام ، قيض لهم شيطان من الإنس يُعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات ، موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها ، فاتخذوه إلهاً يعبدونه ، ويبذلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهقة جبل فيردى ويستعجل في مرضاته الردي " [4] ، وفي واقع الأمر فإن ورود الرواية بنفس التركيبة والتصور والبناء وحكيها نفس الحدث لشخصين مختلفين يرجح لدينا فرضية صناعة الصورة وتناقل موروث الحكي من خلال قوالب درامية ثابتة تتناسب مع كافة المشاهد المُراد التأريخ لها بشأن هذه الجماعات .

---

[1] ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ج1 ، ص 88.

[2] القديس لويس وحملاته على مصر والشام ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968 ، ص 125.

[3] Hammer,., the history of assassins,p.143.

[4] رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص 229 .

وكيفما كان الأمر فقد خضعت خرافات الحشاشين لعملية أخرى من التهذيب والتحسين على يدي " جيمس أوف فيتري " أسقف عكا (1216 – 1228 م) فكان أول مؤلف يشير إلى مواضع تدريب الفدائيين باعتبارها أماكن سرية تبعث على المتعة والسرور ، وهذا يعني أن الفداوية قد تمتعوا ببعض المسرات أثناء تدريبهم [1] .

أما عن الكتابات المعاصرة [2] فقد أورد " برنارد لويس " قضية الجنة في العديد من المواضع، منها أنه رويت عن الحسن الصباح الكثير من الأساطير والأوهام حول استخدام الحشيش بهدف السيطرة على أتباعه للقيام بأعمال الاغتيال التي يأمر بها ، وذلك نتيجة منطقية لعمل جماعته الفدائية التي أطبقت شهرتها وأعمالها الخارقة الآفاق ، وأصبحت مصدراً لكثير من الرعب والفزع في العالم الإسلامي [3] ، كما قيل إن الحسن الصباح أنشأ جنة زرعها وبنى بها مقصورات مذهبة ومفروشة

---

[1] فرهاد دفتري : الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية ، ص 192 .

[2] وفقاً لفرهاد دفتري فقد عادت خرافات الحشاشين من العصر الوسيط إلى الظهور في القرن التاسع عشر في دراسات المستشرقين التي تناولت الإسماعيليين في فترة ألموت كان من تصنيف المستشرق النمساوي فون هامر ، وقد تقبل فون هامر في هذا الكتاب الذي نُشر بالألمانية عام 1818م رواية ماركو بولو كاملة ، بل إن عميد المستشرقين سيلفستر دي ساسي الذي حل لغز الأصل اللغوي لكلمة " Assassins " وافق جزئياً على خرافات الحشاشين من أزمنة الصليبيين ..، والحقيقة أن الخرافات قد عادت إلى دوائر المستشرقين الأوربيين على مسؤولية دي ساسي ، وينهي دفتري القول في هذه القضية أنه نتيجة التقدم الحديث في البحث والدراسات الإسماعيلية تفكيك خرافات الحشاشين وتمييز الحقيقة التاريخية من الحكاية وسوء التصوير في حكايا الحشيش المثيرة والخناجر وتقديس الطاعة ، وبما أنها استمرت من التداول نحو ثمانية قرون أصبح من الضروري الآن النظر إليها على أنها لاشيء سوى خرافات متخيلة من العصر الوسيط تأصلت في التصور الصليبي الخاطيء . " انظر : فرهاد دفتري : الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية ، ص 194 والتي تليها .

[3] برنارد لويس: الدعوة الإسماعيلية الجديدة ، ترجمة سهيل زكار، دمشق، 1971م، ص 16؛ مصطفى غالب: سنان راشد الدين شيخ الجبل الثالث ، ص 72–73 ؛ برنارد لويس: الدعوة الإسماعيلية الجديدة ، ترجمة سهيل زكار، دمشق، 1971م، ص 16 .

بأثمن الفرش وأنفسه ، وعمل أنهارًا من خمر وعسل تطوف فيها حور عين جميلات يؤتين كل فنون الترفيه من رقص وموسيقى [1]

واستمراراً مع برنارد لويس فقد ذكر ما هو مفاده أن الحسن الصباح كان يجتمع يوميا بفداويته ويتحدث معهم فى أمور الدين وخاصة الجنة التى وعد الله ورسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام المؤمنين الصالحين وعن قدرته على إدخال رجاله الجنة الموعودة مستخدما أسلوب التشويق إلى الجنة ونعيمها، وهنا يأمر الحسن الصباح رجاله بإعطاء الحشيش إلى عشر أو اثنى عشر من الفداوية حتى يغلبهم النوم وغير مدركين مايحدث وحينها يأمر رجاله بحملهم إلى القصور الموجودة وعندما يستيقظون من حالة التخدير يجدون أنفسهم فى عالم آخر محاطين بجوارٍ جميلات يغنين ويلعبن ويقمن بمداعبتهن ومعانقتهن ويقدمن إليهم أشهى اللحوم وأفخر الخمور حتى يسكروا ويظلوا بهذه الحالة مدة تتراوح من أربعة إلى خمسة أيام بعد ذلك يدفعون بهم ثانية إلى حالة التخدير ويتم حملهم خارج الحديقة ، وبعدها يدخلون على الحسن الصباح ويسألهم أين كنتم فيجيبوا أنهم كانوا فى الجنة بفضله وعندئذ يقول لهم لقد وعدنا رسول الله وكان وعده حقًّا بأن الجنة يرثها عباده الصالحون الذين يدافعون عن مولاهم وإذا أظهرتهم مودتكم وإخلاصكم فى طاعتى فإن الجنة التى رأيتموها سوف تكون من نصيبكم فتدب الحماسة فيهم منتظرين أوامر سيدهم بشغف من أجل تنفيذها فى الحال دون تفكير من أجل الجنة والشهادة . [2]

وقد نقل براون هذه القضية أيضاً دون التعليق واكتفى بالقول : ولا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أعيد الوصف التصويري الممتع الذي كتبه في القرن الثالث عشر الميلادي الرحالة " ماركو بولو ، ووصف لنا فيه مراسم استقبال الفدائي في وقت كانت فيه قوة الحشاشين في إيران قد أوشكت على الزوال.[3]

لكن فلاديمير إيفانوف بوصفه خبير زار المنطقة مراراً وتفحصها وعرف مداخلها ومخارجها ودرس تاريخ الفداوية دراسة عميقة ووقف على مواضع تلك القلاع وتعمّق في معرفة " طوبغرافيتها" بقوله : " أي جنة وارفة الظلال في أرض يجتاحها الشتاء بجليده وزمهريره سبعة أشهر في العام لا

---

[1] برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في الإسلام ، ص20.

[2] برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في الإسلام ، ص20.

[3] إدوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران ،ج2، ص 253.

يمكن معها معيشة حي غير الإنسان ، لذا كانوا يبعدون الحيوانات الداجنة إلى القرى المجاورة طوال فصل الشتاء الشديد البرودة . [1]

كما أن بطروشوفسكي يتداخل مع هذه القضية بقوله : إننا أمام جنة رمزية المعنى ، فوفق طرحه " بأن عناصر الفداوية كانت تؤمن إيماناً راسخاً بأن فدائيتهم وتضحيتهم إنما هي في سبيل الإيمان والعقيدة ، وأن هذا سيفتح أمامهم أبواب الجنات حيث جنة عدن والقصور الشامخة والحور العين وما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وكان الفدائيون من عامة تلك الفرقة لا يعرفون أن تعاليم الإسماعيلية الباطنية تعتبر الجنة رمزاً للعلم واللذات الروحية " [2] ، وهنا يعود بطروشوفسكي لأصل القضية الإسماعيلية وهي قضية الظاهر والباطن في المعنى ، وهو أمر يمكن أن نسلم به في هذا السياق أي يمكننا القبول بطرح مفاده أن الجنة تم تفسيرها بمعناها اللفظي الظاهر للعوام وعناصر الفداوية وهي العناصر غير المنغمسة في العلم الإسماعيلي فلهم المعنى (الظاهر) ويكون المعنى الباطن لمفكري ومنظري الإسماعيلية من الحشاشين [3] .

---

[1] المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية، مراجعة وتعليق عمار أحمد، دار الوراق،2011م، ص 57.

[2] الإسلام في إيران ، ص 269 .

[3] ووفق هذا الطرح فإن الأمور الظاهرية عند الإسماعيلية ليست حقيقية وأن الباطن من الحقيقى وهو المراد، فلكل عبادة ظاهرية أو أمر ظاهرى معنى أخر باطنى أهم . انظر : البغدادى: الفرق بين الفرق، ص 323 ، ومن وجهة النظر الإسماعيلية فالمعنى الحقيقى والمقصود من الصلاة موضحاً للمدعو أن هذه المعانى الظاهرية إنما هى مجرد رموز وضعت لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشغلوا بها عن بعضهم بعضا ولتصدهم عن الفساد فى الأرض حكمة من الناجبين للشرائع وقوة فى حسن سياستهم لأتباعهم . انظر : المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق محمد حلمى أحمد، ج3، القاهرة1971م. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" تقديم : محمد مصطفى زيادة ، دار التحرير ، عن طبعة بولاق 1270 هـ ، جـ 2، ص 102 والتى تليها ، وفى حقيقة الأمر فإن الباطن أهم ما يشكل العقيدة الإسماعيلية، فلقد آمنوا أن هناك معنى خفياً وراء كل شئ، فمثلاً هناك معنى خفى وراء المعانى الظاهرة للقرآن. انظر ألبرت حورانى: تاريخ الشعوب العربية؛ ترجمة: نبيل صلاح الدين، جـ1 ، ص 237؛ وحسب النصوص الإسماعيلية أن الباطن والظاهر كالروح والجسد، وأن من جرد الظاهر من الباطن كمثل ما تخرج الروح من الجسد فهل يقوم روح بلا جسد؛ انظر النعمان: المجالس والمسايرات ، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1996 ، ص 86؛ حتى أن أحد النصوص الإسماعيلية

وقد ذكر جيمس واسرمن فى كتابه من ألاعيب حسن الصباح وجماعته أنهم أقاموا فرنًا الجزء الداخلى منه يمكن أن يتحرك وخلفه حديقة فيها عشب وفيها جدى ويأتون بجدى مشوى ويضعونه فى هذا الفرن المشتعل ويغلقونه ثم يحركون الجزء الداخلى منه بطريقة خفية ثم يفتحونه فيرى الناس الحديقة ويرون الجدى حيًا فيظنون أنه أحيا الجدى [1] .

تذكر أن الباطن باطناً هو أعلى منزلة أوسع قدرة؛ انظر ابن منصور اليمن: العالم والغلام " تحقيق : مصطفى غالب ، ضمن أربع كتب حقانية ، بيروت الطبعة الثانية، 1987 ، ص 30؛ وشبهت أحد المصادر أن الباطن إلى الظاهر كاللب إلى القشر والتمسك بظاهره معذب بالمشقة فى الاكتئاب؛ انظر مجهول: المطالب السنية في قمع المراسم البدعية " ، إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية 18048 – 3 ، مخطوط، ورقة 76 ، هذا وقد فطنت إحدى الباحثات النابهات لمسألة رمزية الجنة الخاصة بالحشاشين وألحقت بدراستها مقطتفات من كتب إسماعيلية قديمة تؤكد أن المعنى الباطني للجنة هو العلوم والفوائد العقلية والنفسية وهي بستان التميز قد زين بالنطقاء والأسس والأئمة واللواحق وبعلومهم الجارية ...ألخ آخر الاقتباس ، كما أوردت نص آخر أيضاً يؤكد على المعنى الرمزي للجنة منها على سبيل المثال أن أنهار الجنة الأربعة في التنزيل ماء ولبن وعسل وخمر وهي في التأويل أربعة أنواع من العلم تتناسب والقوى المختلفة للعقول الإنسانية ، فأما الماء فيعني العلم البديهي الضروري العام ، وأما اللبن فهو العلم النظري الذي يناسب الأطفال على وجه الخصوص ، والعسل هو العلم التعليمي الذي يأتي من منبع موثوق ولا يباح به إلا لنوع واحد من البشر ، وأما الخمرة فتعني المعرفة وتناسب أصحاب المزاج المتين ، وحور الجنة العين فهي الأبكار التي تبتدي في هوية المرء حالما شعر بالرغبة في ذلك . انظر : سميرة بن عمو : أل موت أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي ، ص 185 .

كما أن الإسماعيلية القديمة في مراحل ما قبل الانشقاق على سبيل المثال أقرت ضريبة أسمتها البلغة: وهي سبعة دنانير وقال هذا هو البرهان الذى أراد الله تعالى عندما قال " قل هاتو برهانكم إن كنتم صادقين "وقال هذا بلاغ من يريد الإيمان والدخول فى السابقين، "أولئك المقربين" فكان من أدى سبعة دنانير عن البلغة أطعمه شيئا حلواً لذيذاً فى قدر البندقة ، وقال هذا طعام أهل الجنة تنزل إلى الإمام وصار يبعث به إلى كل داع منها مائة بلغة. انظر : المقريزى: " المقفى الكبير " تراجم مشرقية ومغربية من الفترة العبيدية " تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1987، ص 257 والتى تليها.

[1] Wasserman,J., Hassan –i–Sabah assassin master,Ibis,press,2020,p.184.

وبخصوص قضية الحشيش فإن أرنولد أوف لوبك (ت 609هـ/ 1212م) المؤرخ الألماني قد أشار إلى جرعة مخدرة كان شيخ الجبل يعطيها لمن سيصبح فدائياً ليساعده على الاستمتاع بمسرات الجنة السماوية بطريقة هلوسية [1] .

وعروجاً على رأي الكاتب والناقد والشاعر الفرنسي " شارل بودلير " والذي آمن بوجود مثل هذه الجنة وإن كان قد تمحورت رؤيته بأن الجنة المصطنعة من الحشاشين كان الحشيش هو قوامها الرئيسي ، وحسب بودلير " إن قصص ماركو بولو التي أخطأنا بالسخرية منها هي وقصص بعض الرحالة الآخرين القدامى قد حُققت من قبل العلماء وصارت تستحق تصديقنا واهتمامنا – حسب تعبيره – ويستطرد قائلاً كيف قام شيخ الجبل بسجن بعض أصغر مريديه داخل حديقة مليئة بالثمار بعد أن أسكرهم بالحشيش ، ويقر بأن الحشيش هي الكلمة التي جاءت منها حشاشين ، وأن استخدام شيخ الجبل الحشيش كان بقصد إعطائهم فكرة عن الجنة التي تمثل الثواب الذي سيحظون به مقابل طاعتهم المطلقة والسلبية والجهولة له"[2] .

أما عن المستشرق الروسي " بارتولد " فقد أقر أن تعاطي الحشيش هو أحد أهم أدوات السيطرة على تحركات الفداوية فوفقاً لقوله " كانت للمذهب الإسماعيلي هيئة سرّية مكونة من الفدائيين المغالين في التعصب ، يؤمن أفرادها بإمكان قتل من يريدون قتله ، أياً كانت شخصيته وكان لتعاطى الحشيش " تأثير فى شجاعة هؤلاء المتعصبين. [3]

وعودة للمستشرق الروسي " بطروشوفسكي " فقد ناقش بدوره قضية الحشيش وعلى حد قوله " وقد شاع بين المسلمين والمسيحيين اعتقاد راسخ مؤداه أن رؤساء الفرقة الإسماعيلية كانوا يخدرون التابعين لهم من عامة الفرقة بالحشيش وسائر المواد المخدرة لإعداد الشباب لهذا العمل الفدائي حتى يزينوا في مخيلتهم الجنة ، ويقووا في أنفسهم إرادة الإقدام على العمل الفدائي والقتل ، وفي إطار عرض بطروشوفسكي نجده لا يحسم أمر الحشيش ويظل حكمه متردداً فعلى حين يقول : **ويبدو أن هذا ليس أكثر من ظن وتخمين** ، إلا أنه يستطرد قائلاً **ومع هذا فمن الجائز أن هذا الظن كان له ما يبرره ،**

---

[1] فرهاد دفتري : الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية ، ص 192 .

[2] الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ص 31 .

[3] فلاديمير بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة طاهر، تقديم عبد الوهاب عزام، دار المعارف مصر، 1943م ، ص 86.

فقد كان اسم النزارية في إيران وسوريا في القرنين السادس والسابع الهجريين هو الحشاشين ، كما استخدم هذا اللقب في الممالك الإسلامية عند العامة في سائر الكتب والمؤلفات من بينهم المؤرخان الفارسيان " رشيد الدين ، وحمد الله المستوفي القزويني " .[1]

إن ما تناقلته الكتابات حول موضوع استخدام الحشيش للسيطرة على الأتباع يمكن أن نتفهمه بمعرفة أن متعاطي الحشيش له تأثير يتعلق بالهوس والهلاوس البصرية والسمعية ، وتؤثر الحشيشة أيضاً على عقل آكلها وتحدث خللاً في ذاكرته فيسهل التأثير عليه والإيحاء إليه ، وفي بعض الأحيان يُصاب بحالة من الهذيان مصحوبة بضحك متواصل يتبعها نشوة وأوهام ، كما أن الحشيش في بعض الحالات يُحدث نوبات من الغضب ، وينتهي بنوم تخديري ، ويمكن أن يتوهم شارب الحشيش بحالة متكاملة من النشوة ويمكن أن نستدل بما نقلته ليلى عبد الجواد عن ابن سودون على النحو التالي :

" ذُكر أن شخصاً أكل الحشيش ، فأقبل النوم عليه أفواجاً ، وأصابه جوع لم يطقه ، وعندما خرج من المنزل للبحث عن طعام ، فرأى بحرًا عجاجًا متلاطم الأمواج ، أرضه من الصابونية ، وجوانبه من المأمونية ، ماؤه من العسل المكرر ، وأسماكه من الموز المقشر ، على شاطئيه شباك من زلابية ، فأخذ شبكة وألقاها في البحر فامتلأت بالسمك وجذبها فلم يقدر على جذبها ..، ثم قذفه الموج في اليوم الثامن إلى جزيرة فيها جبال من كنايف ، وأودية من قطايف ، وسقط في بركة ريم الليمون المالح .... " [2] ، وحسب تعبير آخر بخصوص تعاطي الحشيش " إن هي إلا خدر نفسي يشعر معه آكلها بنعيم الفردوس وهو في الدنيا "[3] .

---

[1] الإسلام في إيران ، ص 270 .

[2] ظاهرة تعاطي الحشيش ومكافحتها في مصر المملوكية ، ص 267 ، وعن نص ابن سودون راجع :

[3] ظاهرة تعاطي الحشيش ومكافحتها في مصر المملوكية ، ص 276 .

حسب شارل بودلير فإن نشوة الحشيش لدى البعض تُخيل لهم وكأنهم في بلاد رائعة ومسرح واسع من الخدع البصرية والسحر ، حيث كل شيء خارق وغير متوقع ... والأحلام العجيبة التي من المستحسن أن نسميها هذيانات . انظر : شارل بودلير : الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ص 37 ، وهذيان الحشيش متصاعد مرتبط بالخيال ، ترى أعين الرجل المنتشية

بهذا كانت الصورة المصنوعة من الكتابات الأوربية والتي انطلقت من صناعة الوهم إلى صناعة الصورة التاريخية من ناحية ، وبما قرر الحشاشون أنفسهم أن يذيعوه عن أنفسهم ، إمعاناً منهم في استكمال صناعة هذه الصورة التي رسخت أجواء صناعة الخوف من الحشاشين في المخيال العام في العصر الوسيط .

الخلاصة :

بطبيعة الحال فإننا في نتائج هذه الدراسة لن نستطرد كثيراً حول القول بمدى محورية جماعة الحشاشين ودورها الصاخب في تلك المرحلة التاريخية ومدى ما أثارته من صخب في المجال العام ، ستكون نتائجنا هنا أكثر تركيزاً على قضية صناعة الصورة ، فقد تجلى بوضوح كيف أن الكتابات الأوربية ساهمت في صناعة صورة تاريخية مبالغ في تصميمها ، وقد تلاقت رغبة تلك الكتابات مع الأجواء العامة الرافضة والكارهة لممارسات الحشاشين فنحن في كل الأحوال أمام مجموعة من القتلة اتخذت من الشعار الديني والمرجعية الدينية نقطة انطلاق وذريعة ليس لإقصاء الآخر بل للقضاء عليه .

وإمعاناً في صناعة تلك الصورة فقد لاقت هذه الصنعة هوى آخر لدى الحشاشين أنفسهم فقد تناسبت مع ما أرادوا هم أنفسهم أن يشاع عنهم ضمن مشروعهم الكبير في صناعة الخوف في المجال العام في تلك الفترة .

ساهمت رمزية قلعة ألموت بغموضها وموقعها المرتفع وسكانها من القتلة المحترفين حملة الخناجر القادرين على التنكر والتخفي والانقضاض في استكمال صناعة هذه الصورة ، كما ساهم وجود عناصر الفداوية بكل ما حملوه من سمات وتدريبات ومهارات وممارسات في صناعة مناخ من الأراجيف وشيوع أجواء من الترقب والخوف وترقب الشر الدائم من هذه العناصر الغامضة ، كما تماهت العقلية الغربية وما تجلى عنها من كتابات أوربية معاصرة مع صورة القاتل الانتحاري الغامض والأهم أن كل هذه الخلفيات ساهمت في ترسيخ حالة التصديق لكل ما يشاع .

بالحشيش أشكالاً غريبة . انظر : شارل بودلير : الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ص 53 .

أما عن أبرز عوامل صناعة هذه الصورة هو حسن الصباح نفسه ، فهو الذي يمكن أن تصفه بموضوعية شديدة أنه قاتل استثنائي ، وذات الموضوعية لا تمنعنا أن نصفه بأنه رجل استثنائي ، فهو رجل صاحب مشروع بغض النظر عن كارثية هذا المشروع ، وصاحب رؤية بغض النظر عن مدى إجرام هذه الرؤية ، وفراسة مكنته من اختيار العناصر الملائمة للعمل والحشد والاستقطاب لتتكامل عناصر العمل التي مكنته من صناعة هذه الحالة المتفردة في التاريخ الوسيط .

ورغم يقين الباحث أن مسألة الجنة بصورتها المادية كمشروع أسسه حسن الصباح محض هراء وأنها لاتعدو سوى صورة تاريخية مصنوعة ناتجة عن أجواء تلك العصور ، إلا أن ذلك لا يمنع من تشكل يقين آخر لدى الباحث يتمحور حول عناصر ثلاث ، أولها : سيطرة معنوية ونفسية كبيرة من حسن الصباح على عناصر مهمشة معنوياً واجتماعياً وفكرياً مورست عليها عمليات استقطاب واختطاف ذهني ، ثانيها : يتعلق بكلاسيكية الأفكار الأولى لدى دعاة الإسماعيلية بالمعنى الظاهر والباطن للمفاهيم وأن الجنة بمفهومها لدى الحشاشين كجماعة خرجت من عباءة الإسماعيلية هي معنى رمزي محض ، وآخرها : يتعلق بما تكون من قناعة لدينا بعدم استبعاد فكرة تعاطي الحشيش بصورتها المادية ، وبما استعرضناه من آثار للمنتشي بالحشيش على تخيلاته وممارساته وهي عوامل محفزة للسيطرة على قطاع من عناصر الحشاشين وليس كل القطاعات ، وهو أمر منطقي وارد بل وشائع عبر فترات تاريخية ممتدة ونماذج متعددة .

قائمة المختصرات :

E.J.C.S: European jouenal of culture studies.

A.H.R: American historical review

قائمة المصادروالمراجع

أولاً : المخطوطات :

مجهول: " المطالب السنية في قمع المراسم البدعية " ، إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية 18048 – 3 .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

إدريس عماد الدين " الداعي إدريسي بن الحسين بن عبدالله الأنف " (ت 872هـ / 1467 م)

زهر المعاني" تحقيق مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الأولى – 1991 .

ابن الأثير " أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، (ت630هـ/ 1232 م)

الكامل في التاريخ، ج 10، دار صادر، بيروت ، 1979م .

الأزدي "جمال الدين علي بن منصور ظافر بن حسين" ت (613 هـ/ 1216م)

أخبار الدول المنقطعة ، المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقية،1972م .

الأصفهاني " عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني" ت (597هـ/ 1200 م)

تاريخ دولة آل سلجوق ، تاريخ دولة ال سلجوق ، بيروت، 2004م .

البغدادي " عبدالقاهر بن طاهر بن محمد " (ت 429 هـ / 1037م)

الفرق بين الفرق " تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ، د . ت .

ابن تغري بردي " جمال الدين أبي المحاسن يوسف " ت (874هـ/ 1469 م)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى .

ابن تيمية " تقى الدين أبي العباس" ت (728هـ/ 1327 م)

الرسالة القبرصية ، نشرها قصى محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، 1974.

ابن جبير " أبي الحسين محمد بن أحمد " ت (614هـ / 1217م)

رحلة ابن جبير، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

جعفر بن منصور اليمن " (ت380هـ / 990م)

العالم والغلام " تحقيق د / مصطفى غالب ، ضمن أربع كتب حقانية ، بيروت الطبعة الثانية، 1987 .

ابن الجوزي " أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد " (ت 597 هـ / 1200م)

كيد الشيطان لنفسه قبل آدم عليه السلام وفيه مذهب الفرق الضالة " ، تحقيق أبو عبدالله محمد بن العفيفي ، مكتبة ابن العباس ، الطبعة الأولى ، إيداع 2003 .

الجويني "علاء الدين عطا " ت(681هـ / 1282 م)

تاريخ فاتح العالم جهانكشاى فى تاريخ منكوقا آن وهولاكو والإسماعلية، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، المجلد الثالث، المركز القومى للترجمة،القاهرة ،2015م.

الحسينى "صدر الدين علي أبو الفوارس ناصر " (ت 622هـ/1225م)

أخبار الدولة السلجوقية، ترجمة محمد إقبال ، دار الوراق، 2017م .

الذهبي" شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان " ت (748هـ/ 1347 م)

العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت 1960م .

الشهرستاني " محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي" ت (548هـ / 1153م)

" الملل والنحل" تقديم وإعداد د/ عبداللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى 1977 .

القزويني " زكريا بن محمد بن محمود" ت (682هـ/ 1283م)

آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، 1969م .

مجهول:

إيقاع صواعق الأرغام فى دحض حجج أولئك اللئام ،هولندا، 2008م .

المقريزي " تقي الدين أحمد بن علي " (ت 845 هـ / 1441م)

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق محمد حلمى أحمد، ج3، القاهرة1971م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" تقديم د / محمد مصطفى زيادة ، دار التحرير ، عن طبعة بولاق 1270 هـ.

" المقفى الكبير " تراجم مشرقية ومغربية من الفترة العبيدية " تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1987.

ابن ميسر " تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب بن راغب (ت: 677هـ/1278م).

المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية ، القاهرة ، (د.ت).

القاضي النعمان " بن محمد بن منصور بن أحمد بن بن حيون التميمي" (ت 363هـ / 973م)

المجالس والمسايرات ، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1996 .

المصادر الأجنبية :

William of Rubrick, the journey of William Rubruck to the eastern parts of the world 1253-1255, translated by, Rockhill,W.,London,1942

المراجع العربية :

ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة ، د.ت .

أسامة زيد: الصليبيون وإسماعلية الشام فى عصر الحروب الصليبية " القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى ، الهيئة المصرية للكتاب، 1980 .

أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 2007م .

ايناس حسنى: تاريخ المغول وغزو الدولة الاسلامية ، مركز الكتاب الأكاديمى ،2017م .

جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2002 .

حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج4، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1996 .

حسن حماد : ذهنية التكفير فى الأصوليات الاسلامية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2015 .

خير الله سعيد: عمل الدعاة الاسلاميين فى العصر العباسى ، دمشق، 1993م .

رحاب عكاوى: الحشاشون حكام الموت ونشأتهم وتاريخهم ، دار الحرف العربى للنشر والتوزيع،1994م .

سعد رستم: الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات النشأة التاريخ العقيدة ،أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 2008 م .

سعيد عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد الاسلامى فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2018م .

سميرة بن عمو : أل موت أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي ، اللاذقية 1996 .

السيد عبد اللطيف عبد الهادى : الحشاشون دراسة فى الإرهاب بين الماضى والحاضر، المكتب الجامعى الحديث،2011 م.

طه شرف: دولة النزارية أجداد أغاخان كما أسسها الحسن الصباح، مكتبة النهضة المصرية ،1950م .

عارف تامر: تاريخ الإسماعيلية ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، 1991.

محمد عبد الله : الاغتيالات فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربى،2009 م.

محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية فى العالم الاسلامى، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع ، 1988م.

محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، الهيئة العامة للكتاب ، 1982م .

محمد كامل حسين: طائفة الإسماعلية تاريخها نظمها عقائدها، مكتبة النهضة المصرية،1959م.

مصطفى غالب: الثائر الحميرى الحسن بن الصباح، دار الأندلس ، بيروت،1966م .

ـــــــــــ الحركات الباطنية فى الاسلام، بيروت،1982م.

ـــــــــــ سنان راشد الدين شيخ الجبل الثالث، بيروت ،1967م .

ميشيل لباد : الإسماعليون والدولة الاسماعلية بمصياف، بغداد ،2007م .

هاشم عثمان: الإسماعليون بين الحقائق والأباطيل، بيروت ، 1988م .

المصادر والمراجع المترجمة :

إدوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس الى السعدى، ترجمة : ابراهيم الشواربى، مطبعة دار السعادة ،1973م .

ألبرت حوراني : تاريخ الشعوب العربية " ترجمة نبيل صلاح الدين ، الهيئة العامة للكتاب ، 1997.

إيفانوف : المنتخب من بعض كتب الاسماعلية ، مراجعة وتعليق عمار أحمد ، دار الوراق، 2011م .

بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة طاهر، تقديم عبد الوهاب عزام، دار المعارف مصر، 1943م .

بطروشوفسكي : الإسلام في إيران ، ترجمة وتعليق : السباعي محمد السباعي ، القاهرة ، 1999 .

برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية فى تاريخ الاسلام، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولى، القاهرة ،1986م .

ـــــــــــ الحشيشة الاغتيال الطقوسى عند الاسماعلية النزارية، ترجمة وتقديم سهيل زكار، دمشق،2006م.

ـــــــــــ الدعوة الاسماعلية الجديدة، ترجمة سهيل زكار، دمشق،1971م .

بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين التطيلى، ترجمة عزار حداد ، بيروت ،2011م .

جوانفيل : القديس لويس وحملاته على مصر والشام ، ترجمة وتعليق : د/ حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968 .

شارل بودلير : الفراديس المصطنعة في الحشيش والأفيون ، ترجمه عن الفرنسية : ناظم بن إبراهيم ، منشورات المتوسط ، ميلانو – إيطاليا ، 2018 .

شيللر : المتلاعبون بالعقول ، ترجمة : عبد السلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1999 .

فرهاد دفترى: تاريخ الاسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، ترجمة سيف الدين القصير، بيروت 2013م .

ـــــــــــ خرافات الحشاشين وأساطير الاسماعليين ،ترجمة سيف الدين القصير، دمشق،1996م .

ـــــــــــ مختصر تاريخ الإسماعيليين، دار المدى للنشر والتوزيع ،2010م.

ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الهيئة العامة للكتاب،1994م .

وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشى، الهيئة العامة للكتاب ، 1994م .

الدراسات والبحوث :

حامد زيان: نهاية الاسماعلية، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، مركز النشر جامعة القاهرة ،1992م .

عباس عبد الستار: الاسماعلية النزارية ونهاية وجودهم فى إيران " 487-654هـ/1094-1256م" ، بحث منشور فى مجلة كلية التربية ، العدد 48، بغداد ، 2006م .

ليلى عبد الجواد : ظاهرة تعاطي الحشيش ومكافحتها في مصر المملوكية ، بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي ، مجلد 16 ، عدد 16 ، القاهرة 2020 .

منال محمد السيد : الإمبراطور اسحق أنجليوس وحملة الامبراطور فردريك بربروسا فى ضوء كتابات المؤرخ نيقتاس خونيتاس، بحث منشور بمجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مجلد 5، عدد 9، كلية الآداب ، جامعة بنى سويف ، 2020م .

الرسائل العلمية :

محمد على الشيخى: مشروعات دعاة الحروب الصليبية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ،2001م .

محمد فتحى شحاتة : الإنشقاقات الدعوية الفاطمية وآثارها السياسية والاجتماعية على الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا ، 2022 .

المراجع الأجنبية :

Atiya,A.,S.,the crusade in the latter middle ages,London,1938.

Beazley,R., directorium and faciendum passagium transmarinum, A.H.R,V.12,no,4,1907

Blockmans,P.,introduction to medieval Europe 300-1500,London,2017

Freed,J.,Fredrick Barbarossa the prince and the myth,Yale university press,2016

Freiherr,J., the history of assassins derived from oriental sources, Oxford,2021

Granville,B., literary history pf Persia,3 vols,vol.2,London,1908

Hammer,J., the history of assassins,translated by, Wood,O.,London,1835

Komel,M.,re-orientalizing the assassins in western historical fiction literature: orientalism and self -orientalism in Bartol"s Almut, tarr's Almut and Oden's lion of Cairo,in ***E.J.C.S,***vol.17,university of Ljubjana,Slovenia,2014

The crusade of Fredrick Barbarossa : the history pf the expedition of the emperor Fredrick and related texts, translated by, Loud,G.,A.,London,2010

Villalon,A., the hundre years war,Leiden,2008

Wasserman,J., Hassan -i-Sabah assassin master,Ibis,press,2020

Rajpuy,M.,Hassan sabbah : his life and thought, U.S.A,2013

Rockhill,W., the journey of William Rubruc; to the eastern parts of the world 1253-1255,Newyork,2017.

Abstract

The study revolves around one pivotal issue, which is the methods of moral control in the Assassin group, specifically the issue of the Assassin's Paradise, which is the most mysterious and attractive issue, with all its dramatic and mental details and mythological complexities. As is clear from the title of the study, we will not trace this issue directly in Arabic literature, but what clearly concerns us. Investigating its dimensions in the context of European writings, whether sources or modern studies of an Orientalist nature.

European writings, with all their intellectual and imaginative load, between facts and illusions, mythology, and the dialectics of the self and the other, became involved in the issue of the Assassin's Paradise, adding more dramatic aspects to it and a narrative whose details conflicted between the facts of history and the mythology of the story, so the facts mixed with myths until these myths rose to the rank of historical facts, and what established this imagination was that the groups of the Redeemers. The killers obeyed the orders of the leader of the movement, Hassan Al-Sabah, blindly, even if the price was their lives. Therefore, they must have believed that this sacrifice, even if it was a life, must have a more valuable reward, and here the promised paradise is the rewarding reward and the expected reward.

Add to that more attractive dramatic details, such as the issue of drinking hashish, the visions and dreams, the spiritual leadership of Hassan al-Sabah, and all the methods of moral control over the Fedayeen elements, who were like timed suicide bombs that were only waiting for a simple signal to sacrifice their lives with complete satisfaction, faith, and passion.

The mission of this study is to explore the issue of Paradise, both its material and moral aspects, as stated in European writings, as well as the methods of moral control, the most prominent of which are drinking hashish, mental control, spiritual leadership, and all the motives that moved the flock of believers in Hassan al-Sabbah, with a European flavor, centered under a major intellectual issue that can be summarized in an equation with two sides. The first side is problematic. The self and the other, and the second party creates the historical image.

Keywords : (Assassins, methods of moral control, Assassins)